طرق وأساليب الترغيب في الصلح في البيان النبوي (كتاب الصلح في صحيح البخاري) دراسة بلاغية تحليلية.

إعداد

د/ زمزم عبد النعيم شحاته

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

طرق وأساليب الترغيب في الصلح في البيان النبوي
(كتاب الصلح في صحيح البخاري) دراسة بلاغية تحليلية.

زمزم عبدالمنعم شحاته
قسم البلاغة والنقد، كلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر فرع أسيوط، مصر
البريد الإلكتروني: zamzamabdalside.٧٨@azhar.edu.eg

الملخص:

فإن الترغيب في الإصلاح بين الناس ونشر روح المحبة والتسامح والمودة بينهم ، وإشاعة السلم والسلام في المجتمعات كانت من أهم القضايا التي دعا إليها الإسلام وأرسى قواعدها ، لما يترتب عليه من النفع الكثير ، وبذا يظهر الإعجاز النبوي بالمساس بقضية معاصرة ،وفي سبيل ذلك فقد سلك الرسول ﷺ من فنون القول وطرائقه ما يتناسب مع المخاطبين والسياقات المختلفة بما يحقق الإقناع والتأثير وقوة التمكين في نفوسهم.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وفهارس .

المبحث الأول: طريق (التقرير) في الترغيب في الصلح في (كتاب الصلح من صحيح البخاري).

المبحث الثاني: طريق الحوار في الترغيب في الصلح في (كتاب الصلح من صحيح البخاري

المبحث الثالث: طريق القصة في الترغيب في الصلح في (كتاب الصلح من صحيح البخاري

الكلمات المفتاحية : الصلح ، الطرق ، الأساليب ،الحوار ، القصة، التقرير.

Ways and Methods of Encouraging Peace in the Prophetic Statement (Book of Peace in Sahih Al-Bukhari), a rhetorical and analytical study.

Zamzam Abdel Moneim Shehata
Department of Rhetoric and Criticism, Islamic Girls College, Al-Azhar University, Assiut Branch, Egypt
Email: zamzamabdalside.٧٨@azhar.edu.eg

Abstract

The encouragement to reform among people and to spread the spirit of love, tolerance and affection among them, and to spread peace and peace in societies was one of the most important issues that Islam called for and established its foundations, because of the many benefits that it entails. ﷺ of the arts and methods of saying that are appropriate to the addressees and the different contexts in order to achieve persuasion, influence and the power of empowerment in their souls.

This research came in an introduction, a preface, three chapters, a conclusion, and indexes.

The first topic: The way (report) in encouraging peace in (Book of peace from Sahih Al-Bukhari).

The second topic: The path of dialogue in encouraging reconciliation in (The Book of Peace from Sahih Al-Bukhari

The third topic: The way of the story in encouraging reconciliation in (The Book of Peace from Sahih Al-Bukhari

Keywords: Reconciliation, Methods, Methods, Dialogue, Story, Report.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم الدين .

وبعد:

فإن رقي المجتمعات وتقدمها ، واستقامة أمورها ، تكون بحسن الخلق والحث عليها والترغيب فيها ، والتنفير من الأخلاق السيئة ونبذها ، والدين الإسلامي تقوم دعائمه على الحث على الأخلاق الحميدة التي هي أساس ازدهار المجتمع وتقدمه.

والهدف من الحديث النبوي الشريف هو تبليغ الدعوة الإسلامية وتمكينها في نفوس المخاطبين ، وترسيخ قواعدها القويمة العالية، وتعليم الناس الأخلاق السامية والآداب الرفيعة.

ومن ثم فإن الترغيب في الإصلاح بين الناس ونشر روح المحبة والتسامح والمودة بينهم ، وإشاعة السلم والسلام في المجتمعات كانت من أهم القضايا التي دعا إليها الإسلام وأرسى قواعدها ، لما يترتب عليه من النفع الكثير ، بالقضاء على المشاحنات والخصومات ،ونشر روح المودة والتأليف بين القلوب، وما أحوج المجتمعات في كل الأوقات إلى التصالح والتسامح بين أفرادها ، وبذا يظهر الإعجاز النبوي بالمساس بقضية معاصرة قد أرقت الحكومات في الدول المختلفة .

وفي سبيل ذلك فقد سلك الرسول ﷺ من فنون القول وطرائقه ما يتناسب مع المخاطبين والسياقات المختلفة بما يحقق الإقناع والتأثير وقوة التمكين في نفوسهم،ولم يهمل النبي صلى أن يغذي هذه الطرائق بأساليب

بلاغية متعددة ، دون الالتزام بنمط واحد محدد ، وذلك تبعا لتعدد السياق والمقام.

وهذه الدراسة تعنى بتناول طرق القول في أحاديث الصلح في صحيح البخاري ، مع بيان القيم البلاغية للأساليب المستخدمة ودورها في مقاماتها ، وقد ساد الأحاديث التنويع في طرق الترغيب إلى الصلح وآساليبه ، فجاءت متنوعه بين طريق (طريق التقرير المباشر – طريق الحوار – طريق القصة) وقد تآزرت هذه الطرق والأساليب حتى أخرجت المعنى المقصود في أبهى صوره وأجملها ، وكان لها تأثيرها في نفس المتلقي ، ومن ثم حملته على الاقتناع بضرورة إرساء قواعد المحبة والتصالح بين أفراد المجتمع ، ليكون أكثر أمنا وراحة وطمأنينة بدلا من التناحر والتشاجر والتباغض ، وما أحوج المجتمعات للتحلي بهذه الفضيلة ، وغرسها في نفوس الأطفال ليشبوا ولديهم الإحساس بأهمية هذه الفضيلة.

ولذا فقد جعلت موضوع هذا البحث (طرق وأساليب الترغيب في الصلح في البيان النبوي (كتاب الصلح في صحيح البخاري) دراسة بلاغية تحليلية.).

وكان الدافع لهذه الدراسة عدة أسباب:

١- الرغبة في الوقوف على هذه الصفة التي نحن في أمس الحاجة إليها في المجتمعات في الوقت الراهن ،بإبراز عناية الرسول الكريم وتحبيبه فيها، وبيان دور النبي ﷺ في إرساء قواعد الصلح التي هي من أسس السلم في المجتمعات .

٢- إرادة الوقوف أمام الطرق والأساليب النبوية في الترغيب في الصلح والوقوف على أثرها في التأثير على المتلقي وتمكين المعنى في

داخله ، وهذا هو الغرض ، فالنبي صلى يريد إيصال المعنى مع ترسيخه وتأكيده في الأذهان حتى يتحقق الامتثال والإقناع.

٣- عدم وجود دراسة متخصصة – فيما أعلم – لهذا الموضوع بهذه الصورة.

وقد اتبع هذا البحث المنهج الاستقرائي الانتقائي الوصفي التحليلي ، إذ قمت باستقراء الأحاديث الواردة في كتاب الصلح من صحيح البخاري، ثم قمت بانتقاء الأحاديث التي تنطق بالترغيب في الصلح ويستشف منها ذلك ، وتتبعتها تتبعا قائما على كشف طرق عرضها ، وتوصيفها حسب الطرق الواردة عليها، ثم بعد ذلك قمت بتحليل الأساليب المختلفة الواردة في هذه الأحاديث وتحليلها تحليلا بلاغيا مع رصد أثرها في المتلقي ، ودورها في ترسيخ المعنى .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وفهارس ، وقد تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع ، والدافع إلى دراسته ، والمنهج المتبع ، والخطة التي سرت عليها .

وجاء التمهيد ليوضح مفهوم عنوان الدراسة ، من خلال بيان :

١- المقصود بالأساليب والطرق.

٢- المقصود بالصلح.

المبحث الأول: طريق (التقرير) في الترغيب في الصلح في (كتاب الصلح من صحيح البخاري).

المبحث الثاني: طريق الحوار في الترغيب في الصلح في (كتاب الصلح من صحيح البخاري). .

المبحث الثالث: طريق القصة في الترغيب في الصلح في (كتاب الصلح من صحيح البخاري).

ثم جاءت الخاتمة ، وفيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، ثم فهرس المصادر والمراجع .

وختاما فإن حرص النبي ﷺ على الترغيب في التصالح بين الناس ، لمن الإعجاز النبوي الذي سبق به كل الدعوات الحديثة ببث روح المحبة والتصالح والمودة بين الناس مما يجعل ديننا الإسلام هو دين السلم والسلام والمحبة ، والدافع للكره والتنابز والتناحر بين الأفراد.

التمهيد

إطلالة على عنوان الدراسة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : المقصود بالطرق والأساليب.

المطلب الثاني : المقصود بالصلح.

المطلب الأول : المقصود بالطرق والأساليب

يتناول هذا البحث الصورة التي رغبت في الصلح في البيان النبوي الشريف ، والصورة بهذه النظرة تتكون من بعدين أساسيين ، البعد الأول: الصورة الخارجية التي تغلف المعنى الأصلي بإطارها الشامل ، البعد الآخر: الصورة الداخلية ، والتي تعد اللبنات التي تتكون منها الصورة الخارجية ، وعلى ذلك فإن المقصود بالطرق هنا: الإطار الشامل ، والهيئة العامة التي جاء المعنى عليها، والمقصود بالأساليب: كيفيات التعبير المختلفة التي تتشكل بها الطرق ، وتبنى بها ، وتستند عليها (١).

فيلاحظ أنه بهذا التعريف يكون بين الطرق والأساليب علاقة قائمة على الإندماج والتداخل والتفاعل فيما بينهما .

وجاء تعريف الأساليب البلاغية في المعجم المفصل بأنها (مختلف الطرائق التقنية التي يعتمدها الكاتب وصولاً إلى التعبير الجمالي عن أفكاره وأحاسيسه، وهي في علم البلاغة العربية تندرج في إطار علم المعاني وعلم

---

[١] – ينظر: طرق العرض في القرآن الأهداف والخصائص ، د/ بن عيسى بن طاهر ن ص٢٢، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية الثانية والعشرون ، ١٤٢٣،١٤٢٢هـ-٢٠٠١-٢٠٠٢مـ .

البيان وعلم البديع)[1]، وهذا التعريف هو نفس المقصود من التعريف السابق للأساليب.

فعلم المعاني يمكن الكاتب من معرفة أحوال الكلام العربي التي بها يطابق مقتضى الحال الداعية إليه ، وعلم البيان يمكن المتكلم من معرفة مختلف الصور التي يمكن أن يؤدى بها المعنى الواحد ، بحسب مقتضى الحال وقدرة الأديب على الإبداع ، واختيار أكثرها دلالة وأوفرها جمالاً ، وعلم البديع يمكنه من معرفة المحسنات اللفظية والمعنوية التي يزداد بها الكلام رونقاً وجمالا شكلياً بعد استكمال مقتضياته البيانية والمعنوية.

وبذا تكون الأساليب متنوعة مشتملة على جميع فنون البلاغة ، وغيرها من العناصر الفنية ، والأدوات التعبيرية اللغوية التي سيظهر دورها في ترسيخ المعنى من خلال البحث.

والناظر في الطرق التي جاء عليها الترغيب في الصلح في أحاديث النبي ﷺ من صحيح البخاري، يجد أنها تتنوع بين التقرير والحوار والقصة ، ومتشبعة بأساليب بلاغية متنوعة ومتعددة ، نجحت في ترسيخ المعنى اللذي اشتملت عليه الأحاديث .

١-طريق التقرير:

والتقرير من "أَقْرَرْت" الكلام لفلان إقرارًا؛ أي: بَيَّنْتهُ حتَّى عَرَّفْتهُ ([1]) ، ويقصد بطريق التقرير : (بيان المعنى بالعبارة)(٢) الواضحة المباشرة ،

---

[1] – المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، الدكتورة /إنعام فوال عكاوي،مراجعة /أحمد شمس الدين ،طبعة دار الكتب

وهو طريق يباين طريق الحوار والقصة، لأنه طريق مباشرقائم على التحليل وتقديم الأدلة ليصل للإقناع ، وهو يتميز بالوضوح والبساطة ، ولذا يّرسخ ويّمكن المعنى في الأذهان ، لكون المعنى أدركه الذهن مباشرة فثبت وتعمق.

٢- طريق الحوار :

هو أسلوب رفيع من أساليب الاتصال اللغوي ، جاء في اللغة : الحوار(مصدر حاور، وهو حديث يجرى بين شخصين أو أكثر، ويطلق الحوار على المحادثة والمناقشة بين أشخاص، كما يطلق على الجدال والمجاوبة، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ...﴾ (الكهف: ٣٧))([٣]).

اما في الإصطلاح : (فهو يطلق على الكلام المتبادل بين الطرفين).([٤])

والحوار: نوع من الحديث بين طرفين أو أكثر يتم تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة ، ويغلب عليه التفاهم

---

[١] – لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .، مادة "قَرَرَ"

[٢] – معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني "٨١٦هـ،١٤١٣م)،ت: محمد صديق المنشاوي ،دار الفضيلة ، بدون،ص ٥٨.

[٣] – يراجع المعجم الوسيط، و المحيط فى اللغة لأديب اللخمى وآخرين، والغنى فى اللغة د. عبد الغنى أبى العزم.

[٤] أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ن دم عبدالحليم حفني ،ص١٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م.

والهـــدوء ، والبعـــد عـــن الخصومة والتعصب وفرض الرأي ، أو هو تبادل الحديث بين طـــرفين عـــن طـــريـــق طرح السؤال والجواب عليه ، كما يطلق على المحادثة والمناقشة بين الأشخاص ، كما يطلق على الجدال والمجاوبة ، وهناك الحوار القـــائـــم عـــلى تبـــادل الحـــديث بين الشخصيات في القصة والمسرحية ([1]).

٣- القصة :

هي : (شكل من أشكال التعبير النثري له خصائصه التي تميزه عن فنون النثر الأخرى ، وتختلف هذه الخصائص باختلاف نوع القصة وموضوعها وقالبها ، ولكنها بشكل عام تتخذ من الحدث مادة لتسرد الحديث حوله ، معتمدة على عنصر الشخصية التي تتعامل مع الحدث ، وتسير به من مقدمته إلى نهايته ، وكل ذلك مرتبط ببيئة معينة ، وزمان محدد ، ومساق لغاية أو هدف معين)([2]).

ومن خلال الدراسة يلاحظ أن للقصة النصيب الأكبر في استقطاب وجذب واستمالة المتلقي إلى متابعة ما يلقى من المرسل دون ملل حتى النهاية ، ولهذا فهي تعطي القاص فرصه لتقرير ما يرى من (المبادئ،

---

[1] – ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ،١٩٨٤مـــ مجدي وهبة وكامل المهندس،، (ص ٨٩).

[2] – مدخل إلى النقد الأدبي الحديث ، د/ شلتاغ عبود شراد ، ص ١٧١، دار مجدلاوي ، ط١، ٢٠١٠-٢٠١١مـــ.

ويمكن الأهداف ، لأن لها أثرا في النفوس يواكب فطرتها في مدراج الحياة)([1]).

والتنوع في طرق وأساليب العرض لمعنى الصلح وغيره من المعاني يعطي فرصة لترسيخه في الأذهان على اختلاف مشارب الناس وطرق تفكيرهم ودرجة معرفتهم، فهناك من يناسبه طريق التقرير في ترسيخ الأفكار ، وهناك من يناسبه القصة ، وغيره يناسه الحوار ، والآخر يناسبه الخطابة ، إذن تنوع طرق العرض تابع لتنوع (النفوس المتباينة في طبائعها ، والمختلفة في تفكيرها ، واستعداداتها النفسية والثقافية ، فالتعامل مع النفس البشرية جذبا أو دفعا أمر يحتاج إلى معرفة الوسيلة المناسبة على غرار المعرفة الأكيدة بالنفس ذاتها)([2])، فكل طريق من الطرق له صدى عند من يميل إليه ،وفي النهاية نصل إلى إقناع المتلقي بالفكرة الرئيسة بمعاونة الأساليب البلاغية المختلفة تبعا لاختلاف السياقات والأحوال التي قيلت فيها، فهذا التنوع إنما يقصد به (مخاطبة كل عوامل التأثير في الإنسان من عقله، وغرائزه ، ووجدانه)([3]).

وهذا موجود في الواقع الملموس فقد يطلب من المرء أمر فلا يستجيب له ، ثم يطلب منه هذا الأمر نفسه بأسلوب آخر فإذا هو يستجيب ، لأن الأسلوب الآخر يحمل إثارة لمشاعره ، بأي صورة تلائم هذه المشاعر ،

---

[1] – الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، د/ عز الدين السيد ،ص٤٤١، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ،١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م.

[2] – طرق العرض في القرآن ، الأهداف والخصائص الأسلوبية ، ص٢٠، بتصرف.

[3] – أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، د/ عبدالحليم حفني (ص٤٩.

وقد تكون هذه الصورة من قبيل الترغيب في أي لون من ألوان الإغراء والترغيب ، وقد تكون من قبيل الترهيب في أي لون من ألوان التخويف والوعيد ، فالإنسان واقع تحت عوامل عديدة متنوعة بعضها عقلي ، وبعضها مادي ... وبعضها من المشاعر والانفعالات ([1]).

ونجد أن الطرق تعددت في الحديث النبوي في الترغيب في الصلح على حسب المواقف التي تعرض لها مع الصحابة والمشركين والكفار ،ويستشف الطريق المتبع من خلالها ، كما يظهر في الدراسة.

المطلب الثاني : المقصود بالصلح:

جاء في بيان المقصود بالصلح في المعاجم اللغوية ، قولهم : (صَلَحَ: الصَّلاح: ضِدُّ الْفَسَادِ؛ صَلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحاً وصُلُوحاً،... والصُّلْحُ: تَصالُح الْقَوْمِ بَيْنَهُمْ. والصُّلْحُ: السِّلْم. وَقَدِ اصْطَلَحُوا وصالحوا واصَّلَحُوا وتَصالحوا واصَّالحوا، مُشَدَّدَةَ الصَّادِ، قَلَبُوا التَّاءَ صَادًا وأَدغموها فِي الصَّادِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَقَوْمٌ صُلُوح: مُتصالِحُون([2]).

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصر:(صُلْح : مسالمة وتوافق ووئام " {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} ، سورة: النساء ، آية رقم١٢٨ "، إنهاء حالة الحرب أو الخصومة "أُبرم الصُّلح بين المتخاصمين- مؤتمر الصُّلْح".([3]) ،

فالصلح إشاعة السلم ، ولايكون إلا بعد منازعة فهو (اسم من المصالحة وهي المسالمة بعد المنازعة) ([1]).

---

[1] أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، د. عبدالحليم حفني ، (ص٤٤، ٤٥) بتصرف.

[2] – لسان العرب ، مادة صلح (٥١٦/٢).

[3] – معجم اللغة العربية المعاصرة (صلح).

ومعنى الصلح في الاصطلاح: (عقد يتوصل به إلى موافقة بين متخاصمين إنهاءً للنزاع)([٢]).

والصلح جائز ومشروع بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول: فمن الكتاب: فقوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} (الحجرات: ٩)، وقوله تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}(سورة النساء: ١٢٨)، ومن السنة: فما روى أبو هريرة –رضي الله عنه– عن النبي – ﷺ – قال: "الصلحُ جائزٌ بينَ المسلمين إلا صلحًا أَحَلَّ حرامًا أو حَرَّمَ حلالًا" ([٣])، و الإجماع: فقد أجمعت الأمة على جواز الصلح بين الخصوم.،والدليل العقلي: فإن الصلح تقتضيه المصلحة وحاجة الناس، وقد تكفلت الشريعة الإسلامية بحفظ الضروريات والحاجيات والتحسينات، وهو من أكثر العقود فائدة؛ لما فيه من قطع النزاع والشقاق)([٤]).

وللصلح أنواع كثيرة وصور مختلفة ومتعددة ،منها (صُلْحُ الْمُسْلِمِ مَعَ الْكَافِرِ وَالصُّلْحُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَالصُّلْحُ بَيْنَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ وَالْعَادِلَةِ وَالصُّلْحُ

---

[١] – معجم التعريفات ، باب الصاد ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ، (ص ١١٤)

[٢] – الفِقهُ الميَسَّر،: أ. د. عَبد الله بن محمد الطيّار، أ. د. عبد الله بن محمّد المطلق، د. محمَّد بن إبراهيم الموسَى الناشر: مَدَارُ الوَطن للنَّشر، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: جـ ٧ و ١١ – ١٣: الأولى ١٤٣٢/ ٢٠١١ (١٢٤/٦).

[٣] – رواه الترمذيُّ (١٣٥٢)، وقال: "حديثٌ حسنٌ صحيحٌ" ،(سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م

[٤] – ينظر: الفِقهُ الميَسَّر ، (١٢٤/٦)،(٢٨/٣).

بَيْنَ الْمُتَغَاضِبَيْنِ كَالزَّوْجَيْنِ وَالصُّلْحُ فِي الْجِرَاحِ كَالْعَفْوِ عَلَى مَالٍ وَالصُّلْحُ لِقَطْعِ الْخُصُومَةِ إِذَا وَقَعَتِ الْمُزَاحَمَةُ إِمَّا فِي الْأَمْلَاكِ أَوْ فِي الْمُشْتَرَكَاتِ كَالشَّوَارِعِ)([1])، وغير ذلك من أنواع الصلح التي تكون في المجتمعات حسبما تقتضيه المواقف الحياتية المختلفة.

وقد جاء الدين الإسلامي القويم محفزا وداعيا للسلام والتصالح بين الناس ، ونابذا للكرة والتناحر بين الناس جميعهم ، بدون أن يخص فئة دون أخرى بل هي دعوة عامة ، وجاء القرآن الكريم والحديث الشريف متفقين في دعوتهما للتصالح والسلام ،وعلى هذا المعنى الوارد للصلح سيتم دراسة الأحاديث النبوية في هذا المعنى، وودراسة الطرق والأساليب التي تحتويها ورسخت معانيها في ذهن المتلقي .

[1] – فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (/٥/٢٩٨).

المبحث الأول:

طريق (التقرير) وأساليبه في الترغيب في الصلح في البيان النبوي (كتاب الصلح من صحيح البخاري).

سيتناول هذا الفصل من هذه الدراسة مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التي عرضت الصلح بطريق التقرير والسرد المباشر مع الاعتماد على مجموعة من الأساليب البلاغية التي تساعد في ترسيخ المعنى عند المخاطب ، والمتلقي بصفة عامة.

ويشتمل المبحث على مجموعة من الأحاديث :

الحديث الأول : حديث (لَيْسَ الكَاذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ)

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا» (١).

فأم كلثوم ، تقول رضي الله عنها إنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول: ليس الكذَّابُ الذي يُصلح بين الناس فيقول خيرًا، أو ينمي خيرًا، لا يُسَمَّى كذَّابًا، بل هو مصلحٌ بين الناس، وقد جاء عن النبي ﷺ ، (مِنْ رِوَايَةِ يَعْقُوبَ وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّهُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ فَذَكَرَهَا

---

١ – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، (ص٣/١٨٣).

وَهِيَ الْحَرْبُ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ)([1])، ولكن ليس المقصود إباحة الكذب على الإطلاق فالأصل في الكذب التحريم ، وَقد نهى النَّبِي، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عَن الْكَذِب نهيا مُطلقًا، وَأخْبر أَنه مُخَالف للْإِيمَان، فَلَا يجوز اسْتِبَاحَة شَيْء مِنْهُ حيث قال: ((إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا)([2])، فالكذب (قد يرخص في بعض الأوقات في الفساد القليل الذي يؤمل فيه الصلاح الكثير)([3]).

والرسول الكريم يرغب في الإصلاح بين الناس بطريق التقرير والإخبار بأنه لا يطلق على المصلح بين الناس بأنه كذاب إذا قال خيرا على لسان أحد المتخاصمين ،وطريق التقرير جعل الخبر يتدافع على الذهن بسهوله ويرسخ في الذهن بقوة ، وقد اعتمد على عدة أساليب ساعدت في ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي، ويبتدئ الرسول الكريم الكلام بأسلوب النفي(لَيْسَ الكَذَّابُ)، ، وتصدير الكلام بالنفي أفاد تأكيد وتقرير نفي الكذب عن الشخص الساعي في الإصلاح بين الناس، ويتضمن إنكار فكرة إطلاق الكذب على المصلح، وكأن هناك من الاشخاص من يطلقون عليه كذابا فنفى الكذب عنه.

---

[1] – فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ،(٣٠٠/٥).

[2] – صحيح البخاري ، (٢٥/٨).

[3] – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، (٤١٩/١٤). المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

وجاء النفي في الحديث الشريف ب(ليس) دون غيرها من أدوات النفي ، لأن (ليس تنفي الوحدة، ولا تنفي الجنس)([1])، فلما قال :(لَيْسَ الكَذَّابُ) ، قصد نفي وصف الكذب على الذي يصلح بين الناس ، ولا يقصد نفي جنس الكذب ، إذ الكذب حرام شرعا.

وجاء اسم " ليس" بصيغة المبالغة المعرف ب"أل" "الكَذَّابُ" ،لإفادة المبالغة ،وكأن المصلح إذا وقع منه الكذب لأجل الإصلاح تكرارا ومرارا فلا حرج عليه ولا يطلق عليه كذابا، ويجوز أن يكون الكلام على تقدير محذوف (أي إثم الكذب من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم)(٢)، وقد كان (حق السياق أن يقول : لَيْسَ مَنْ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ كَاذِبًا لَكِنَّهُ وَرَدَ عَلَى طَرِيقِ الْقَلْبِ وَهُوَ سَائِغ)([3]).

قوله :(الذي يصلح) يعني الذي (يكذب للإصلاح بين المتباغضين لأن هذا الكذب يؤدي إلى الخير وهو قليل)(٤)، وآثر التعبيربهذا التعبير (الذي يصلح) عن قوله :(الذي يكذب ليصلح بين الناس)، لكي ينفي عنه إسناد الكذب أو وصفه بالكذب حتى في اللفظ ، ولذا جاء التعبير "الذي يصلح" ،

---

[1] – الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ،المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م ،

[2] – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ،(٤٨/٣).

[3] – فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٩٩/٥).

[4] – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤٨/٣)

وكأن ما يقوله ليس كذبا ، وإنما هو إصلاح ، وهذا في غاية البلاغة في استبعاد صفة الكذب عنه.

وتعريف المسند إليه بالموصول (الذي يصلح) ،حيث أتى باسم الموصول في السياق هنا ولا يقصد به شخص بعينه ولا مخاطب بذاته، ولكن يقصد به كل شخص يصلح بين الناس ، فأفاد العموم لكل من يفعل ذلك من غير تقيد ،وذلك يجعل الترغيب في الإصلاح قوي ومحبب لكل متلقي وسامع وقارئ لهذا الحديث ، لأنه يدفع عنه الحرج في محاولته للإصلاح بتجميل الطرف الآخر ببعض الصفات ترغيبا في التصالح، ولذا جاء التعبير باسم الموصول مفردا (الذي) وذلك لجعل كل فرد من أفراد المجتمع مقصودا بالذكر ، ويجعل الكلام كأنه موجه إليه خاصة ، فيكون أشد في الإلزام ، وأدعى إلى الإلتزام بما جاء في الحديث. وجاء اسم المكان(بين)مضافا ل(النَّاسِ)، ليرسخ فكرة العمومية وعدم التحديد لفرد أو شخص بعينه ، لدلالتها على مكان عام غير مُحدّد، أي لا تتراءى لها صورة مُعيّنة في الأذهان ، فأي فرد يصلح بين أي فئة أو جماعة مقصود بالحديث الشريف.

ولزيادة ترسيخ المعنى في هذا السياق جاء معبرا بالفعل المضارع (فَيَنْمِي([1]) خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا) للدلالة على التكرار واستحضار صورة الشخص المصلح الذي ينقل الكلام الذي فيه خيرإلى الطرف الآخر على

---

[1] – (نَمَيْتُ حَدِيثَ فُلَانٍ، مُخَفَّفًا، إِلَى فُلَانٍ أَنْمِيهِ نَمْيًا إِذَا بَلَّغْتَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ وَطَلَبِ الْخَيْرِ، قَالَ: وَأَصْلُهُ الرَّفْعُ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ وَنَمَى خَيْرًا أَيْ بَلَّغَ خَيْرًا وَرَفَعَ خَيْرًا)، معجم لسان العرب، لابن منظور، باب النون ، مادة (نمى) ،

وجه الإصلاح ، وكذا الذي يقول الخير ، فمهما كثر القول والنقل وإن لم يكن مطابقا للواقع لا يعد كذابا ، لأن الهدف هو الإصلاح حتى تسود المحبة في المجتمع ، ومن ثم السلم والأمان والطمأنينة ، وحتى يقنع السامع بضرورة التحري في نقل الكلام ،والتحري في القول في هذا السياق – الإصلاح بين المتخاصمين – كرر كلمة "خيرا" حتى يلتزم الناقل بأن يكون كلامه كله بوجه حسن وخير،ثم حذف الفاعل وتقديره (هو) ليسارع لذكرالمفعول (خيرا) لأنه هو المقصود في الكلام وهو الأهم لتوجيه الأنظار إليه ، ليترسخ في ذهن المتلقي بأن أهمية الخيرية في القول والنقل ، وعدم النظر لغير ذلك.

(وليس في الحديث ما يقتضي جواز الكذب، فإنه قال: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس» وسلب الكذب عن المصلح لا يستلزم كون ما يقوله كذباً لجواز أن يكون صدقاً بطريق التصريح أو التعريض)(١).

فالذي يأتي قبيلة ويقول: أصحابكم يحبون الخير لكم، ويدعون لكم، ويحبون الصلح معكم، ويذهب للآخرين ويقول لهم كذلك حتى يجمع بينهم ويُصلح بينهم، ولو كان مبالغا فيما يقول، وكان ذلك لا يضر أحدًا من الناس،لا يأثم ولا يعد كذبا، ، والصلح خير، ولأنه سعى في إزالة الشر والجمع بين القلوب.

ومن ثم تترسخ في جميع الأذهان حرص النبي ﷺ على الصلح بين العباد الذي هو السبب في إذاعة الأمن والسلام المدني، والذي يوضح

---

[١] – داليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، (٣/٤٩).

سماحة الدين الإسلامي الداعي للأمن والصلح والتسامح، وبذا يكون سبق كل الدعوات الحديثة للسلام والتصالح .

وقد اعتمد الرسول ﷺ طريق التقرير معضودا بعدة أساليب ، تعاضدت جميعا في ترسيخ المعنى عند المتلقي.

الحديث الثاني :

جاء عن النبي صلى في بيان فَضْلِ الإِصْلاَحِ بَيْنَ النَّاس، وَالعَدْلِ بَيْنَهُمْ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشّمْسُ ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ)([1]).

يقصد الرسول صلى من هذا الحديث الترغيب في الإصلاح بين الناس ، وقد اعتمد على طريق التقرير ،وساقه عبر مجموعة من الأساليب الفنية والوسائل التعبيرية التي ساعدت على ترسيخ مقصوده الشريف في ذهن المتلقي .

جاء في فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، أن الحديث (ترجم على الإصلاح والعدل ولم يورد في هذا الحديث إلا العدل ، لكن لما خاطب الناس كلهم بالعدل وقد علم أن فيهم الحكام وغيرهم كان عدل الحاكم إذا حكم ، وعدل غيره إذا أصلح . وقال غيره : الإصلاح نوع من العدل ، فعطف العدل عليه من عطف العام على الخاص)([2])، وعلى هذا فالحديث الشريف فيه ترغيب في الإصلاح بين الناس ، إذ جعله نوعا من أنواع

---

[1] – صحيح البخاري (١٨٧/٣)

[2] – فتح الباري شرح صحيح البخاري ،(٣٠٩/٥).

الصدقات الواجبة على كل فرد من الناس في صباح كل يوم (شكرًا لله تعالى بأن جعل عظامه مفاصل تقدر على القبض والبسط)([1]).

فبداية الحديث يوضح أنه على كل مفصل من مفاصل جسم الإنسان(كُلُّ سُلَامَى) في صباح كل يوم صدقة ، فبداية الحديث بلفظ كل أفاد العموم ف(كل إذا دخلت على النكرة أوجبت عموم أفرادها على سبيل الشمول)([2])، و"سلامى" بضم السين المهملة وتخفيف اللام: وهي المفاصل والأعضاء وقد ثبت في صحيح مسلم أنها ثلاثمائة وستون، ... وأصله عظام الكف والأصابع والأرجل ثم استعمل في سائر عظام الجسد ومفاصله ([3]) ، والمعنى أن (على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة)([4])، وتحرك عظام الجسد يعني تحرك الأعضاء ، فيكون قد أطلق الجزء وأراد الكل من باب التجوز ، وهذا المجاز ينقل للمتلقي دقة التعبير مع المبالغة المقصودة من لفظ العموم (كل) ، بحيث لا يجوز أن تترك أي عظمة كانت بالجسم آداء الواجب عليها كل صباح نحو الخالق سبحانه وتعالى من شكره والامتنان له بالتسبيح والاستغفار والتصدق وفعل جميع الخيرات ،

---

[1] – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ،(٤٢٩/١٤).

[2] – كتاب الكليات ، (١م٩٤٥) ، أبي البقاء أيوب بن موسى ، تح: عدنان درويش ، محمد المطيري ، الناشر / مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٩هـ – ١٩٩٨مـ .

[3] – شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية المؤلف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ) الناشر: مؤسسة الريان الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، ص٩٣.

[4] – كتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤٥/٣).

وللمتلقي أن يتخيل أن أي حركة يؤديها بعظامه وأعضائه وجسده إذا كانت خيرا يؤجر عليها .

وتخصيص العظام من بين سائر الأعضاء ، (لأن في أعمالها من دقائق الصنائع ما تتحير فيه الأفهام فهي من أعظم نِعَم الله على الإنسان وحق المنعم عليه أن يقابل كل نعمة منها بشكر يخصّها فيعطي صدقة كما أعطي منفعة لكن الله تعالى خفّف بأن جعل العدل بين الناس ونحوه صدقة)([1])، وقد ذكر النبي ﷺ (أمثلة مما تكون به الصدقة، وهذا من قبيل التمثيل وليس من قبيل الحصر؛ لأن كل عمل صالح يتقرب به الإنسان إلى الله عز وجل فهو صدقة، فمن ذلك ما يكون قاصراً كالذكر والدعاء والصلاة والصيام، ومنه ما يكون متعدياً كالصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإماطة الأذى عن الطريق وغير ذلك من كل ما هو متعد نفعه إلى الآخرين، فإن الإنسان يتصدق على نفسه وعلى غيره)([2]).

و التعبير بالجملة الإسمية " كُلُّ سُلَامَى "، يدل على أن ذلك حق ثابت، فهذه العبارة تستعمل للدلالة على الثبوت عادة، فلمّا ذكر لهم ﷺ هذا بين لهم كثرة طرق الخير، ولم يذكر ﷺ الصدقة بالمال؛ لأن الصدقة بالمال معروفة، لا تخفى على أحد، وإنما ذكر لهم وجوهاً أخرى من الصدقة

---

[1] – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ،(١٤/٤٢٩).

[2] – شرح الأربعين النووية المؤلف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٣٦ درسا] ،ص٦/٢٥

قد يتهاون فيها الإنسان، وقد لا يتصور بعضهم أن هذا يجري في باب الصدقات التي يؤدي بها شكر النعم .

وقوله :(مِنَ النّاسِ) في محل الصفة لسلامى ، وهذه الصفة توضح فكرة العموم التي يلجأ الحديث لترسيخها في ذهن المتلقي ، بمعنى كل عظام كل شخص من الناس عليه التصدق صبيحة كل يوم، وقدم الجار والمجرور (عَلَيْهِ صَدَقَةٌ) على المفعول(كل يوم تطلع في الشمس) ، لكونه المخصوص بالكلام ودوران الحديث ، فالضمير راجع على العضو المكون من العظام ، وحرف الجر(على) يفيد الإلتباس الذي ينقل للذهن الالتزام والوجوب المطالب به كل عضو من أعضاءالإنسان بشكر الخالق ، ومن قبيل الشكر التصدق بالصلح بين الناس.

وقوله :(فِيهِ الشّمْسُ) جملة صفة يوم وهو صفة توضيحية فيها بيان تجديد هذه الصدقات على الإنسان صبيحة كل يوم في مقابلة ما أنعم الله تعالى به عليه في خلق تلك السلاميات من باهرالنعم ، ودوامها التي هي نعمة أخرى؛ ومما يزيد العبد تيقظاً لنعمة الدوام عليه أنه تعالى قادر على سلب نعمة الأعضاء عن عبده كل آن، وهو في ذلك عادل في حكمه، فعفوه عن ذلك إدامة نعمة العافية عليه صدقة توجب الشكر بدوامها فيتعين على العبد الشكر لهذه النعم بالصدقة بما يأتي في الحديث وغيره مقابلة لتلك النعم بقدر الطاقة مع ما ورد من أن الصدقة تدفع البلاء فبوجودها عن أعضائه يرجى اندفاع البلاء عنها)([1]).

---

[1] – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: ٨ (٣/٤٥.).

وقوله : (يعدل) أي يصلح ويلاحظ حذف الحرف قبل الفعل (يَعْدِلُ) وتقديره (أن يعدل) وهو في تأويل مصدر مبتدأ وخبره (صَدَقَة)، أي: عدله صدقه ، والحذف للحرف جعل الكلام موجزا ، للرغبة في ذكر قيمة الإصلاح بين الناس وبيان كونه من أعظم الصدقات ، (فعدله بين المتهاجرين أو المتخاصمين أو المتحاكمين بأن يحملهما لكونه حاكماً أو محكماً أو مصلحاً بالعدل والإنصاف والإحسان بالقول أو الفعل على الصلح الجائز)([1])،والتعبير بالفعل المضارع يرسخ فكرة تجديد واستمرار العدل المقصود به الإصلاح ، وعدم انقطاعه ، فالمداومة أساس الشكر، بالإضافة لتنكير (صدقة) ، الذي يوحي بعظمها ومكانتها ، وأنها صدقة عظيمة.

وإنما كان الإصلاح بين المتخاصمين صدقة ، لوقايتهما مما يترتب على الخصام من قبيح الأقوال والأفعال والمقاطعة، فالصدقة حماية ، والإصلاح كذلك، ولذا لما قال النبي ﷺ (كل سلامي عليه صدقة) قَال من سمعه (يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ كَأَنَّهُمْ فَهِمُوا مِنْ لَفْظِ الصَّدَقَةِ الْعَطِيَّةَ فَسَأَلُوا عَمَّنْ لَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالصَّدَقَةِ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ بِإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ) ([2])، والقيام بتصالح الناس وبث روح المودة والمحبة بينهم كل ذلك صدقة، إذ السلم والطمأنينة والمودة أساس بناء المجتمعات.

وينتهي الحديث وقد اتضح للمتلقي ترغيب النبي ﷺ في الصلح بين الناس ، وجعله له كأنه صدقة ، مستخدما طريق التقرير ، ومعتمدا على

---

[1] – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ،(٤٦/٣).

[2] – فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني (٣٠٨/٣).

الأساليب البلاغية المختلفة التي وظفت لأداء معانيها على أكمل وجه ، وكان بينها من الانسجام والتوافق والتناسب ما ساعدها على ذلك.

الحديث الثالث:

الإصلاح بين فئتين عظيمتين:

جاء في صحيح البخاري : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ، يَقُولُ: اسْتَقْبَلَ وَاللَّهِ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الجِبَالِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ: أَيْ عَمْرُو إِنْ قَتَلَ هَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ، وَهَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، فَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَاعْرِضَا عَلَيْهِ، وَقُولاَ لَهُ: وَاطْلُبَا إِلَيْهِ، فَأَتَيَاهُ، فَدَخَلاَ عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا، وَقَالاَ لَهُ: فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا المَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا، قَالاَ: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا، قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصَالَحَهُ، فَقَالَ الحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ

اللَّهِ: " قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّمَا ثَبَتَ لَنَا سَمَاعُ الحَسَنِ مِنْ أَبِي بَكْرَةَ، بِهَذَا الحَدِيثِ "([1]) .

في هذا النص يبدأ الشاهد موطن الدراسة من بداية : (فَقَالَ الحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ)،وأصل القصة كما ذكرها أهل الأخبار أنه لما قتل على بن أبى طالب بايع أهل الكوفة الحسن بن على رضي الله عنه، وبايع أهل الشام معاوية، (فسار معاوية بأهل الشام يريد الكوفة، وسار الحسن بأهل العراقين، فالتقيا بمنزل من أرض الكوفة، فنظر الحسن إلى كثرة من معه من أهل العراق، فنادى: يا معاوية، إنى قد اخترت ما عند الله ،فإن يكن هذا الأمر لك فما ينبغى لى أن أنازعك عليه، وإن يكن لى فقد جعلته لك. فكبر أصحاب معاوية، .....وقال الحسن: اتق الله يا معاوية على أمة محمد، لا تفنيهم بالسيف على طلب الدنيا وغرور فانية زائلة، فسلم الحسن الأمر إلى معاوية وصالحه وبايعه على السمع والطاعة على إقامة كتاب الله وسنة نبيه، ثم دخلا الكوفة فأخذ معاوية البيعة لنفسه على أهل العراقين، فكانت تلك السنة سنة الجماعة لاجتماع الناس)([2]).

والشاهد قوله ﷺ : (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ) ، وفي هذا الحديث اتخذ ﷺ طريق

---

[1] – صحيح البخاري ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر(١٨٦/٣).

[2] – شرح البخاري – ابن بطال – ٨/ ٩٦-٩٧.

التقرير المباشر لعرض فكرة الصلح على المتلقي ، وقد عاضده مجموعة من الأساليب لترسيخ هذه الفكرة.

وجاءت "إن" المؤكدة في بداية كلامه ﷺ ، مراعية حال المخاطب المنفعل بالمعنى المساق له ، فجاءت لتواجه حالة الاستغراب من المخاطب وتزيل التردد والشك في كون الحسن رضي الله عنه سيدا ، وتجعل التأكيد يسرى بين طيات المعنى ،ويرسخ في الأذهان.

فالنبي ﷺ كان يجلس بجواره الحسن وهو يخطب على المنبر ، وإذا به ينظر إليه تارة وإلى الناس أخرى ، ويقول عن الحسن هذا القول ، إخبارا للناس بشيء سيحدث في المستقبل القريب، وهذا من الإعجاز البنوي .

فقد كان الحبيب المصفى ﷺ له نظرة مستقبلية للمجتمعات وما يسود فيها من الفرقة بين العباد ، ولذا ربط السيادة بالإصلاح بين المتخاصمين ،وإحلال السلم المدني في المجتمعات ونبذ الحروب والتطاحن بين الأفراد ، فالسيد هو من يفعل ذلك، ودلل على(أن السيادة إنما يستحقها من انتفع به الناس لأنه علق السيادة بالإصلاح بين الناس ونفعهم)([1])، فما أعظم رسولنا وما أعظم إسلامنا .

وفي تعريف النبي ﷺ للحسن بلفظ (ابْنِي) مع إضافة الضمير الدال على الحسن رضي الله عنه للنبي ﷺ تعظيم وتشريف للحسن ما بعده تشريف ، ويدل على مكانة الحسن رضي الله عنه عند الحبيب المصطى ﷺ ، واستخدام اسم الإشارة للتعريف ((إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ) لتعين الحسن

---

[1] – شرح البخاري لابن بطال ، (٨/٩٥).

بالإشارة إليه أتم تعيين وتحديده ، دفعا للالتباس عند الناس، لئلا يتداخل عليهم الأمرويظنون أن النبي ﷺ يقصد شخصا آخر غير الحسن رضي الله عنه ، واستخدام اسم الإشارة القريب ، للدلالة على قرب الحسن من قلب النبي ﷺ ، ومكانته العظيمة لديه،والتنكير في (سَيِّدٌ) لتعظيمه ورفع مكانته في نفوس المسلمين ، لنفعه الناس وتقديم مصالحهم على مصلحته الشخصية، فالجملة بما فيها من معان ناطقة بمكانة الحسن لدى النبي صلى الله عليه وسلم.

واستخدام النبي ﷺ في قوله : (وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ) أسلوب الترجي (لعل) ،لأنه يعبر عن رغبة ممكنة التحقق وأمر مرتقب حدوثه، وهي إصلاح الحسن رضي الله عنه بين الجماعتين المتخاصمتين وحقن دماء المسلمين وخمد نيران الفتنة ، وإسناد الترجي لله تعالى (لعل الله ..) يفيد تحقق الوقوع وتيقنه ، وأنه واقع لا محاله ، ورغبة النبي ﷺ في الإصلاح يعمم على جميع البشرية في جميع العصور وفي جميع المجتمعات حتى تسود المحبة بين الجميع ، فالنبي(ﷺ كَانَ حَرِيصًا عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ وَقَدْ أَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الصُّلْحَ بَيْنَ الْفِئَتَيْنِ الْمُخْتَلِفَتَيْنِ سَيَقَعُ عَلَى يَدِ الْحَسَنِ)([1]).

وفي قوله: (فئتين عظيمتين) (وصفهما بالعظيمتين لِأَن الْمُسلمين كَانُوا يَوْمئِذٍ فرْقَتَيْن: فرقة مَعَ الْحسن، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ، وَفرْقَة مَعَ مُعَاوِيَة،

[1] – فتح الباري لابن حجر ٣٠٧/٥

وَهَذِه معْجزَة عَظِيمَة من النَّبِي، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، حَيْثُ أخبر بِهَذَا فَوَقع مثل مَا أخبر)([1]).

وتقديم القيد الجار والمجرور(يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ) ، وذلك للاهتمام به ، فالضمير راجع للحسن رضي الله عنه ، وهو محور الكلام ، فالسياق لإثبات كونه سيدا لإصلاحه بين الفريقين المسلمين وحقنه لدماء المسلمين ، وتنكير (فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ) للتعظيم والتهويل ، فترسم في أذهان المتلقي صورة الكثرة الهائلة لجموع لمسلمين وحشد كل فئة من الجهتين وقوتها ، وبذا يرسخ في الأذهان استحقاق سيادة الحسن ابن علي رضي الله عنه لقبوله الصلح .

وهذا الحديث من علامات النبوة فقد أصلح الله بالحسن بن علي بين أهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وبين أهل العراق بقيادة الحسن رضي الله عنه وذلك بعد حروب طويلة قتل فيها الآلاف من المسلمين وحقن الله به دماء المسلمين وعادت المودة بين طوائف المسلمين المتحاربة ([2])، فالأمور الغيبية التي أخبر عنها النبي ﷺ وتحققت من علامات النبوة.

وبهذا ينتهي الحديث الشريف وقد رأينا أن النبي ﷺ قد اتخذ طريق التقرير وسيلة للترغيب في الإصلاح بين الناس ،إذ جعل الصلح علامة

---

[1] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٨٢/١٣).

[2] – البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م (ج٨-ص١٦، ٢٠) بتصرف.

السيادة بين الناس ، مستعينا بمجموعة من الأساليب البلاغية التي تعاضدت معه في ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي.

المبحث الثاني

طريق الحوار وأساليبه في الترغيب في الصلح في البيان النبوي (كتاب الصلح من صحيح البخاري).

لطريق الحوار تأثير فاعل في تحقيق استجابة المتلقي ، واستمالته وذلك لأنه ، يخاطب الجانب العقلي في الإنسان من جهتين إحداهما : عرض الحقيقة نفسها ، وهو موضوع المحاورة ، والجهة الأخرى المباراة بين المتحاورين ، والصراع العقلي الذي يدور بينهما ، والحجج التي يتحاوران بها ، وكل ذلك يستدعي من السامع أن يشحذ عقله وينشط ذهنه ليتابع هذه المباراة ، كما أن الحوار يخاطب غريزة من أسمى غرائز الإنسان ، لقربها من العقل ، ولصوقها بالمعرفة ، وهي غريزة حب الاستطلاع ، بالإضافة إلى أنه يثير مشاعر الإنسان وانفعالاته (١).

ولقد كان الحوار وسيلة مهمة من وسائل الدعوة العملية الواقعية التي لجأ إليها الرسول ﷺ كوسيلة تعليمية لها غايات وأهداف محددة ، حتى يستطيع أن يتعرف على دواخل الصحابة ونفسياتهم وما يترتب على ذلك من معالجة لمشاكلهم وقضاياهم ، والإجابة عما يدور بخلدهم من أسئلة تتعلق بالعقيدة والحياة .

ونتيجة لأهمية الحوار في الدعوة المحمدية لتعليم الناس مبادئ الدين الحنيف نجد أن النبي ﷺ قد سلك طرائق متعددة في الحوار بحسب ما يتطلبه الموقف ومقتضيات السياق ومراعاة أحوال المخاطبين ،فقد يكون

---

١ – أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ،د. عبدالحليم حفني ،ص ٥٣،٥٢،٥١ بتصرف.

الحوار بينه وبين صحابي حوارا مطلقا غير مقترن بأي إشارة ، وقد يكون مقترنا بالإشارة ، وهو القائم على (التعبير غير اللفظي الناتج عن الحركات الاختيارية للأطراف ، والأعضاء ، وأجزاء الجسم المختلفة)([1])، إذ الهدف الأساس من لغة الإشارة هنا، هي ترسيخ المعنى المقصود المعبر عنه باللغة المنطوقة ،كما سيتضح أثناء الدراسة للحديث موطن الشاهد.

وهذا المبحث يشتمل على حديثين:

الحديث الأول :

جاء في بَابٌ: هَلْ يُشِيرُ الإِمَامُ بِالصُّلْحِ :

عَنْ أَبِي الرِّجَالِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أُمَّهُ عَمْرَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَتْ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ، وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لاَ أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: «أَيْنَ المُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ، لاَ يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟»، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ)([2]).

فالحديث الشريف من رواية السيدة عائشة ، وفيه أن النبي ﷺ سمع صوت خصوم عالية أصواتهما،فلما سمع ذلك تدخل ﷺ كما سيظهر ،

---

[1] – العبارة والإشارة في نظرية الاتصال ، د/ محمد العبد (ص ١٠٤)، مكتبة الآداب ن القاهرة ط٢ ،١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧مـ ، نقلا عن طرق وأساليب الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي دراسة بلاغية ،د منصور طه صالح خضر، بحث بمجلة اللغة العربية بالمنصورة العدد ٤٠ ن ج١ ، ٢٠٢١مـ ، ص١٠.

[2] – صحيح البخاري – كتاب الصلح- (١٨٧/٣).

ويلاحظ أن في قوله : "صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا " قد (أفرد صوت المضاف مع تعدده في نفس الأمر لتعدد المضاف إليه لكونه لمح فيه كونه مصدراً في الأصل .....أو لاختلاط أصواتهم وعدم تمايزهم فصارت كالصوت الواحد لإدراك حاسة السمع لها ..... وجاء في «فتح الباري» : كأنه جمع باعتبار من حضر وثنى باعتبار الخصمين، أو كان التخاصم من الجانبين بين جماعتين فجمع باعتبار ذلك وثنى باعتبار جنس الخصم، صوت الواحد لإدراك حاسة السمع لها)([1]).

وموطن الشاهد المختصة بها هذه الدراسة هو الحوار النبوي الشريف المتمثل في سؤال النبي ﷺ والجواب عليه من الصحابي الموجه إليه السؤال،وهو الجزء الأخير في الحديث ، فبعد أن سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بخارج بيته أصواتهم عالية ، وإذا أحدهما يطلب الحطيطة من الدين ، ويطلب منه الرفق في طلبه الدين ،فهو (يستوضعه بترك الزيادة على رأس المال والاسترقاق بترك طلب الربح)([2]) ،والطرف الآخر يقسم بالله أنه لا يفعل أيا منهما لا الحطيطة من الدين ولا الرفق في طلبه، وفي هذه اللحظة تدخل النبي ﷺ مستخدما طريق الحوار لتعنيف هذا الشخص المبالغ في القسم بالله على أن لا يفعل الخير لصاحب الدين.

ويلاحظ أن الحوار في هذا الحديث اعتمد على مجموعة من الأساليب رسخت المعنى الذي أراده النبي ﷺ من الترغيب في التصالح بين

---

[1] – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤٩/٣)، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني (٣٠٨/٥).

[2] – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ،(٥٠/٣)

الأطراف المتخاصمة ، وترقيق الأطراف المدينة على الأطراف الدائنة ، بالحط من الدين بعض الشيء ، والرفق في الطلب ، فمثل هذه الأمور تساعد على آداء الديون والتصالح ، ومن جهة أخرى فإن الحديث يهدف بألا يبالغ أي شخص في القسم على ألا يفعل الخير والمعروف ، فمثل هذا لا يليق بخلق المسلم.

وأول ما يطالعنا في هذا الحوار هذا الاستفهام من قبل النبي ﷺ (أَيْنَ المُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ، لاَ يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟)،فهو استفهام إنكاري توبيخي ، ففيه إنكار شديد وتوبيخ قوي من قبل الرسول ﷺ لهذا الشخص المُتَأَلِّي (الحالف المبالغ في اليمين)(١)،والاستفهام يستشف منه كذلك (الزجر عن الحلف على ترك فعل الخير)(٢) ، والذي يلاحظه المتلقي الضيق الكامن في نفس النبي ﷺ من هذا الشخص المبالغ في الحلف بألا يفعل المعروف (من الوضع والرفق بأخيه)(٣)، فهذا الشخص في قسمه بالله كأنه أكد وحتم بألا يفعل المعروف ، مما لفت نظر النبي ﷺ وجعله يتدخل للصلح مع توجيه التوبيخ للطرف المُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ ، فالنبي ﷺ بين أنه لا يحسن بالإنسان أن يحلف على ترك المعروف، وترك الخير، والإحسان والبذل إلى الناس (فكأنه لما حتم بألا يفعل شابه ما يدعيه القدرية من إثبات القدرة لنفسه، فوبخه النبى (ﷺ) بقوله، ففهم ذلك ورجع عن تأليه

---

١ – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ،(٥١/٣).

٢ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ،(٥/ ٣٦٢).

٣ – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ،(٥٠/٣).

ويمينه)([1])،وفي قوله (لايفعل المعروف)تحديد وتوضيح للشيء الذي وبخ من أجله الحالف ، فهو لم يقسم على ألا يفعل شيئا قبيحا ، بل أقسم أن لا يفعل المعروف (من الوضع والرفق بأخيه) وهذا يجعل التوبيخ أشد وأقبح ، ومن طريق آخر يرغب في فعل المعروف والتصالح على ما يقدر عليه الطرف الآخر.

ويجوز أن يكون المقصود من الاستفهام مع التوبيخ التقريع ([2])،فالرسول الكريم ﷺ يريد بالاستفهام هنا إنزالَ عقاب نفسي بالمخاطب؛ لصدور شيء لا ينبغي منه، وكان يجدر به ألاَّ يصدرَ منه ، وقد يكون المقصْود منه ردْعَ المخاطب وزجْرَه وكَفَّه عن الحلف المبالغ فيه بألا يفعل المعروف ، فيتجنَّب فعل ذلك فيما بعد.

ومن جهة أخرى ممكن أن يفهم من الاستفهام التعجب ، وكأن النبي يتعجب من صنيع هذا الرجل إذ كيف يبالغ في قسمه على ألا يفعل المعروف، ففي هذا من العجب ما فيه.

ولا يخفى على المتلقي أن السياق والمقام يفهم منه معاني مختلفة للاستفهام مجازية، مع جواز أن يكون الاستفهام حقيقيا ويكون النبي ﷺ

---

[1] – شرح صحيح البخارى لابن بطال،(٩٨/٨).

[2] – (التوبيخ: من وبَّخ؛ أي: لامَ، وعَذَلَ، وأنَّبَ، "يُقال: وبَّخْت فلانًا بسوء فِعْله توبيخًا)، و"التقريع: التأنيب والتعنيف، وقيل: هو الإيجاع باللوم، وقَرَّعْت الرجل، إذا وبَّخْته وعَذَلْته" ، اللسان، مادة: وبَّخ ، جـــ١٠، ص ٥٥٠، واللسان، مادة: قرَع، ج ٨، ص ٤٩١.

طالبا الاستخبار عن هذا الشخص العالي صوته المبالغ في القسم بألا يفعل الخير والمعروف ، بالتخفيف عن الشخص المدين منه .

وقد تم ما أراد الحبيب المصطفى وجاء الحوار بنتائجه الإيجابية، فقد أجاب الطرف الآخر بقوله :(فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ) فالإجابة جاءت على وجه السرعة ، لما رأى الضيق الدال عليه الاستفهام التوبيخي من قبل النبي ﷺ ، وقد استخدم في رده على النبي ﷺ الضمير بقوله (أنا) ولم ينتظر حتى يجيب شخص آخر مكانه ويشير إليه ، وفي ذلك محاولة منه لتخفيف غضب النبي صلى الله عليه وسيلم، ولذا أعقبه بقوله :(وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ) وقد قام حرف العطف بدوره بالربط بين أجزاء نص الحديث مما يقوي تماسكه ، ويأتي الجاروالجرور وهوالضمير الراجع للشخص الذي كان يستوضعه ويسترفقه في طلب دينه ، وبذا يقوى التحام الكلام ، فهو يجعل الذهن يربط هذا الجزء من الحديث بالجزء الأول وبداية الكلام.

وفي استخدام أداة النداء "يا" لنداء النبي ﷺ وهي موضوعة لنداء البعيد ، والنبي لم يكن بعيدا عن المجلس ، تعظيما وتفخيا ورفعة لقدر النبي ﷺ ، وزيادة في التوقير للحبيب المصطفى ﷺ مع إضافته إلى وصفه المحبب إليه (رَسُولَ اللَّهِ) فكل ذلك ينقل الأدب والتوقير للرسول ﷺ من المتحدث مع اعترافه بالخطأ الذي ارتكبه.

وفي قوله (وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ) ترتيب الكلام (أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ فلَهُ)، وتقديم الجار والمجرور (لَهُ) اهتماما به ، لأن المتحدث يريد الإسراع بما يريد فعله ليخفف من تفاقم الأمر ، وكأنه يريد أن يعتذر عما بدر منه ، ويعالج الأمر بطريقه ترضي الطرف الآخر والرسول ﷺ ، و استخدم اسم

الإشارة (ذَلِكَ) لتحديد المشار إليه وتعيينه ، وبيان أنه سيوافق على ما يختاره الطرف الآخر ويحدده من الأمرين – الوضع من الربح، أو الوضع من رأس المال مع الربح – فأحب الأمرين إليه سيوافق عليه.

فعلى المسلم أن يحرص على فعل الخيرات، ومنها الإصلاح بين الناس، فإذا ما رأى شخصين أو جماعتين أو قبيلتين بينهما نزاع وشقاق وتباغض واقتتال سعى للإصلاح بينهم ،لإزالة كل ما يؤدي إلى الفرقة والتباغض والتخاصم ، ويحل محله الإخاء وتسود المحبة والمودة ، فإن في ذلك الخير الكثير والثواب الجزيل، بل ذلك أفضل من درجة الصائم القائم المتصدق، قال ﷺ : (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين..)([1]).

وقد قام طريق الحوار وما يكتنفه من أساليب بلاغيه بما هدف إليه النبي ﷺ من الترغيب في الصلح بين المتخاصمين على الدين ورغب في التخفيف عن المدين ، وفيه بيان أن ولي الأمر له أن يتدخل لحل المنازعات المالية وإصلاح ذات البين بين الأطراف.

الحديث الثاني:

جاء في بَابُ الصُّلْحِ بِالدَّيْنِ وَالعَيْنِ:

قَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ، أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ،

---

[1] – سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ت: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت رواه أبو داود برقم (٤٩١٩) ،(٤/٢٨٠).

فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ فِي بَيْتٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمَا، حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ: فَقَالَ «يَا كَعْبُ»، فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ، فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قُمْ فَاقْضِهِ»([1]).

في هذا الحديث يستخدم النبي ﷺ طريق الحوار المقرون بالإشارة في الترغيب في الإصلاح بين الناس وموطن الشاهد في هذا الحديث هو الجزء الثاني، فقد رْوي كَعْبُ بنُ مَالِكٍ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه كان له دَينٌ عندَ عبْدِ اللهِ بنِ أبِي حَدْرَدٍ،وقد حان وقت سداده فطَلَبه منه ، وكان ذلك في مَسجدِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، فارْتَفَعَتْ أصواتُهما في النِّقاشِ، فسَمِعَهما النَّبيُّ ﷺ وهُوَ في حُجرتِه، فخَرَج إليهما حتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِه، وهو السِّتْرُ الذي عليها، فنادى الرسول الكريم على كعب بن مالك وطلب منه أن يحط نصف الدين عن عبدالله بن أبي حدرد ، ففعل ما أمره به رسول الله ﷺ.

وقد اعتمد الرسول ﷺ على طريق الحوار في الترغيب في الصلح بين المتخاصمين وقد عاضد ذلك مجموعة من الأساليب البلاغية التي رسخت المعنى في ذهن المتلقي ، وعمقت في داخله الإحساس بمقصود الكلام ومراميه المختلفة ، وعززت فكرة التسامح والعفو عند المقدرة على ذلك ، لإشاعة السلم والأمن في المجتمعات.

---

[1] – صحيح البخاري – كتاب الصلح – (١٨٨/٣).

وبداية الحوار بين كعب والنبي ﷺ عندما نادى النبي صلى كعب بن مالك بقوله: (فَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ: فَقَالَ «يَا كَعْبُ»)فالرسول الكريم عندما سمع صوت كعب وعبْدِ اللهِ بنِ أَبِي حَدْرَدٍ ، قد ارتفع في المسجد نادى كعبا على وجه السرعة ، يوحي بذلك العطف بالفاء ، فهذا الموقف لا يحتمل التأخير، فلا بد من كف النزاع ومصالحة الطرفين بعد أن يتم التراضي بينهما ، ليقتدي بذلك جميع الحاضرين في مثل هذا الموقف ، والتعبير بالفعل الماضي (نادى) ينقل للقارئ صورة قد وقعت بالفعل وتحققت ، والذي نادى كعب بن مالك النبي ﷺ ، فالفاعل ضمير مستتر ، وقد قام بدورة في تماسك النص الشريف.

ثم جاء أسلوب النداء بحرف النداء (يا) في قوله :(«يَا كَعْبُ» وفيه لفت انتباه كعب بن مالك لما يقال، كما أن النداء في هذا الحوار(يهيئ المنادي وينبهه فيصغى بعناية وتشوق إلى ما يوجه إليه بعد النداء ، ويترقبه ويتطلع إلى معرفته والإحاطة به)([1])، بالإضافة إلى أن نداء كعب بحرف النداء الموضوع للبعيد فيه توقير وتعظيم له من قبل النبي ﷺ ، ويجوز أن يكون المقام استدعى هذه الأداة حيث إن الطرفين المتخاصمين أصواتهما عالية ، فلابد من مد الصوت بالنداء حتى يسمع كعب بن مالك وبذا يكون استخدامها مناسبا للمقام حيث استدعاها السياق وسعى إليها وتطلبها.

---

[1] – التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه ، د/ بسيوني عبدالفاح فيود مطبعة الحسين الإسلامية ، ط١، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣مـ .

ولما سمع كعب بن مالك النداء من الحبيب المصطفى كانت الإجابة سريعة فالموقف لا يتحمل ، بالإضافة إلى أن المنادي هو الحبيب المصطفى ﷺ ، (فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،)مما يعكس انصياعه لأوامر الحبيب المصفى ﷺ ،ولذا قال (لَبَّيْكَ[1] يَا رَسُولَ اللَّهِ) مستعملا لفظ التلبية ، كأنه يريد أن يظهر كونه ملازما لطاعة النبي ﷺ ، وأنه مجيبب لندائه ، ولم يغفل عن تعظيم الحبيب المصطفى بالنداء البعيد (يا) توقيرا وحبا له، والإضافة للمولى عز وجل (رسول الله) لأن هذا هو الوصف المحبب إلى المصطفى ﷺ ، وذلك دأب الصحابة في ندائهم لرسول الله (تأدبا معه ، وإقرارا برسالته ، ورعاية لمقام النبوة والرسالة واستجابة منهم لخالقهم في قوله تعالى : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم ....) " سورة النورآية " ٦٣)[2] ، وهذه الإجابة تنقل للأذهان قبول كعب بن مالك ما يأمره به ﷺ بعد ذلك ،وانصياعه له .

وجاء المطلوب تنفيذه سريعا معطوفا بالفاء (فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ) ، فقد طلب النبي ﷺ من كعب بن مالك أن يترك نصف حقِّه للمدين ، و أمْرُه على سَبيلِ البرِّ والمساهَلَةِ لابْنِ أبِي حَدْرَدٍ حتى يستطيع سداد دينه ،ويلاحظ أن النبي ﷺ استخدم في طلبه هذا طريقين من طرق الإيصال هما لغة الجسد ، واللغة المنطوقة ، ولغة الجسد تتمثل في

---

[1] – لبَّيْكَ، ولَبَّيْهِ لَبَّيْكَ يقال: لَبَّيْكَ: لزومًا لطاعتك، أَو إِلبابًا بعدَ إِلباب، وإِقامةً بعدَ إِقامة، وإِجابةً بعد إِجابة. المعجم الوسيط (لَبَّيْكَ).

[2] – الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية ، د/ عبدالعزيز بن صالح العمار،جامعة الإمام محمد بن سعود ط١، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م ، (ص١٧٩).

الإشارة باليد (فَأَشَارَ بِيَدِهِ) وهذه الصورة الحركية بإشارته ﷺ ذات دلالة واضحةعلى مقصده ، والإشارة تتآزر مع اللغة المنطوقة (أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ) في الدلالة على شدة اهتمام النبي ﷺ بالمعنى الملقى ، ولذا استخدم كل الوسائل التي تضمن وصوله ، وتؤكد رسوخه في الأذهان ،وكل ذلك لحرصه ﷺ على التأثير والإقناع ، فليس مقصده مجرد إيصال المعنى فقط ، بل تأكيده وتقريره(فالمعاني عندما تدرك بالوسائل البصرية الحركية بالإضافة إلى التلفظ بها تكون لدى المتلقي في غاية العمق والتأثير)([1]).

وجاءت الاستجابة من كعب بن مالك لطلب النبي ﷺ على وجه السرعة والتأكيد متصدرا بالفاء التعقيبية ، ودالٍ عليه بالفعل الماضي (فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ) ، وجاءت الجملة القولية (قَدْ فَعَلْتُ) متصدرة بقد الدالة على التحقيق وبعدها الفعل الماضي الدال على تحقق الحدث ، وبذا نجد أن التأكيد قد بلغ غايته ،ونقل للذهن حالة كعب وقد فعل ما أمر به ، مبالغة في امتثال الأمر النبوي الشريف، فلسان حال كعب تقول قد تم ما أمرت به يارسول الله ، ولذا لم يقل (سأفعل يا رسول الله) وللذهن أن يلمح الفوارق بين التعبيرين .

ويتصاعد الحوار لنصل لقول الحبيب المصطفى ﷺ لابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ (قُمْ فَاقْضِهِ)، ويلاحظ أنه في الجملة الحوارية هذه لم يصرح باسم ابن أبي حدرد ، بل عرفه بضمير مستتر راجع إليه والسياق هو الذي حدد المقصود

---

[1] – فن التحدث والإقناع ، تأليف ، وليم ، ج مأكولاف ، ترجمة توفيق مازن ، (ص ١٣٤) ، دار المعارف ، ط ٤،.

، والأمر الصادر من النبي ﷺ أمرحقيقي ملزم للوجوب ، فقد حط كعب عنه نصف المطلوب ، فوجب عليه قضاء النصف الأخر، ومن جهة أخرى فإن هذا الأمر يوحي بأن بن أبي حدرد عليه سداد دينه لكعب بن مالك في وقت الأمر ، وعدم تأخير السداد ، فقد تم المطلوب وحط عنه بن مالك نصف المبلغ المطلوب ، فلا يصح بعد ذلك التأخير ، وهذا بطريق آخر ينقل لنا مراعاة الحبيب المصطفى للطرف الآخر (كعب بن مالك) ونفسيته ، فإذا كان قد وافق على الحط من الدين ، فمن حقه أن يستعجل في سداد الباقي ، ولذا قال الحبيب المصطفى على وجه الإلزام لابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ "قم" و"اقضه"، فما أروع حبيبنا المصطفى وما أروع الإسلام.

(وفي الحديث الحض على الرفق بالغريم والإحسان إليه بالوضع والزجر على الحلف على ترك الخير، وفيه الصفح عما يجري بين المتخاصمين من اللفظ ورفع الصوت عند الحاكم)([1]).

وبذا نجد أن طريق الحوار والأساليب المتنوعة في النص الشريف حققت الهدف من جذب المتلقي لأهمية الصلح في المجتمعات ، وترغيبه فيه ، ويلاحظ في الحديث شدة الاندماج بين النبي ﷺ والصحابة من خلال القول ، والحوار كان نامٍ ومتصاعدٍ ، وشيق وممتع ، مع ما فيه من الإفادة والإقناع ، مما أدى في النهاية لترسيح القيم المجتمعية التي أرادها الحبيب المصطفى ﷺ من الترغيب في الإصلاح والوئام بين المتخاصمين.

---

[1] – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/٥٠).

وفي الحديث من المعاني التي تظهر الإعجاز النبوي الشريف في تطرقه ومعالجته لمشكلات معاصرة أرهقت الفكر المعاصر ، ويضع حلولا تيسر في حلها ، وهي مشكلة تعسر المدين وعدم قدرته على آداء دينه (الغارم)، ففي هذه الحالة من صلاحيات الحكومات التدخل للصُّلحِ بيْن النَّاسِ و الحض على الرفق بالغريم والإحسان إليه والوضع عنه، وهذا من سماحة الدين الإسلامي .

المبحث الثالث:

طريق القصة وأساليبه في الترغيب في الصلح في البيان النبوي

(كتاب الصلح من صحيح البخاري).

القصة طريق من طرق التعبير التي سلكها الرسول صلى لتحقيق هدفه الأساس وهي الدعوة والإصلاح والتوجيه ، حيث إن القصة تساعد على الوصول إلى عقول المتلقيين وشعورهم وتحقق الإقناع والإمتاع ، مما يجعل لديهم الرغبة في تقبل الخطاب النبوي الشريف (ذلك أن النفس البشرية ميالة لسماع القصة ، تجد الأنس والمتعة في متابعة أحداثها وقد تجد فيها ما تريده ،أو ما تحياه فيترك ذلك فيها من التأثير والاستمتاع)([1]).

والقصة النبوية تندرج تحت مسمى القصة القصيرة جدا ، إلى حد يصل أحيانا إلى شكل الخبر القصصي(٢)، فالقصص النبوي قصير هادف ، ينبع

---

[1] – التصوير الفني في الحديث النبوي ، الدكتور محمد الصباغ ، المكتب الإسلامي، ط١ ،١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨مـ ،ص٤٩٨.

[2] – ينظر: القصص في الحديث النبوي ، دراسة موضوعية فنية، د.محمد حسن الزير، ص٤٣٣، ط٣،١٤٠٥هـ، ١٩٨٥مـ

من التصور الإسلامي ، والواقع التاريخي ، وتنبع فكرته من أجناس النفوس الكائنة الحية ، متسلسل الأحداث ، ويكفي كل الكفاية في تقرير الغرض ، وهوبسيط هادف (١)، فهو يعمل على إقناع العقل ، وإمتاع الوجدان.

والقصص النبوي عبارة عن مواقف حصلت مع النبي ﷺ ، ورويت من الصحابة بصورة قصصيه ،وتحكى متصلة عن النبي ﷺ ، ومكتملة لجميع عناصر الفن القصصي ، من أحداث وشخصيات ، وحدث، وزمان ،ومكان، وفي النهاية يخرج المتلقي بعد سماعها بحالة من الامتاع والإقناع العقلي بضرورة الإصلاح بين الناس وإشاعة السلم والمحبة بينهم، ومن ثم في المجتمع.

ويشتمل هذا المبحث على مجموعة من الأحاديث :

الحديث الأول:

باب كَيْفَ يُكْتَبُ: هَذَا مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْن فُلانٍ، وَفُلاَنُ بْن فُلانٍ وَإِنْ لَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى قَبِيلَتِهِ أَوْ نَسَبِهِ

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الحُدَيْبِيَةِ، كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ: لاَ تَكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَوْ كُنْتَ رَسُولًا لَمْ نُقَاتِلْكَ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «امْحُهُ»، فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْحَاهُ، فَمَحَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ هُوَ

---

[1] – ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة النبوية (ص٤٦٣:٤٦٢)، عز الدين علي السيد ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م .

وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، وَلاَ يَدْخُلُوهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلاَحِ، فَسَأَلُوهُ مَا جُلُبَّانُ السِّلاَحِ؟ فَقَالَ: القِرَابُ بِمَا فِيهِ)([1]).

المتأمل في هذا الحديث النبوي الشريف يجد أن الرسول ﷺ قد اتخذ طريق القصة لعرض الفكرة الرئيسة للحديث ،وهي الترغيب في الصلح وعدم الإصرار على ما يتسبب في عدم إتمامه ، وقد توافرت عناصر القصة في هذا الحديث من شخصيات ، وحدث، وزمان ، ومكان ،وحوار([2])، فالأشخاص هم الرسول الكريم ﷺ ، وعلي رضي الله عنه، والمشركون، والحوار المتحقق بين الأشخاص ، والحدث وهو عملية التصالح بين المسلمين وأهل الحديبية ،وتداخل معه حدث آخر وهورفض الكفار كتابة وصف (رسول الله) في عقد الصلح، وما اكتنف ذلك من أحداث فرعية مترتبة على الحدث الأساس ، وقد عاضد هذه العناصر مجموعة من الأساليب رسخت الفكرة الرئيسة ، وأدت دورها في قوة وبراعة، ونقله بصورة بالغة الكمال والحسن الفني مع الامتاع والإقناع ، وأظهرت إعجاز البيان النبوي ،وتنبئه لضرورة وأهمية عقود التصالح بين المجتمعات

---

[1] – صحيح البخاري ، كتاب الصلح، (٣/١٨٤).

[2] – عنصر الحوار وإن كان من عناصر العمل القصصي ، إلا أن القاص يمكنه الإستغناء عنه واعتماد عنصر السرد أو غيره ، ف(أسلوب القصة يقوم على الوصف أو السرد أو الحوار، وكل كاتب يتخير الأسلوب الذي يروق له ، وتطمئن إليه نفسه ليرسم به شخصياته) ، عضوية الحوار في العمل القصصي ، د. عبداللطيف محمد الحديدي ، بدون ،(ص ٣).

المتحاربة ، وقدرة هذه المعاهدات على حقن دماء كثير من أرواح الجنود في العصر الحديث.

وقد تكاتفت كل عناصر القصة لخدمة العنصر الرئيس الذي تدور عليه القصة ، وهو عنصر "الحدث" الذي هو (التصالح)، حتى وصل إلى الصورة التي أرادها النبي في النهاية من إتمام الصلح، ومن ثم ترغيب الناس في الصلح ، والتنازل عن بعض الاشياء التي لا تنتقص من الأمور شيئا في سبيل تحقيق الهدف الأسمى والوصول إلى الأهداف المرجوة،

والحديث الكريم يتصدره الظرف (لما) الذي يؤذن بأن المتكلم يقص ما رآه ، ويستحضر ما شاهده (لَمَّا ([1]) صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الحُدَيْبِيَةِ) ، فهو ظرف زمان بمعنى حين ، وفيه من الإبهام والشرط ما يجعل المتلقي متحفزا لمتابعة مدخوله ، وانتظار ما يترتب عليه ويتعلق به ، ويدور في خلد المتلقي أسئلة مختزلة في ذهنه، ماذا حصل أو ماذا تم آن ذاك؟ ويأتي الفعل الماضي (صَالَحَ) بدلالة بنائه التركيبي ليؤكد مضمونه ووقوع الصلح بين المسلمين وأهل الحديبية ، ويتضح به الحدث الذي يدور عليه حوار القصة النبوية.

---

[1] – ظرف زمان مختصّ بالماضي يقتضي جملتين وُجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما بمعنى حين أو حينما "لمَّا اجتهد كافأتُه– {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} – {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} ".معجم اللغة العربية المعاصرة ،د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل ، الناشر: عالم الكتب،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م،٣/٣٣٤.

ويأتي جواب لما (كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) ، ليفصح عما يريد إخبارنا به المتكلم ، وهو الحدث الذي تم وقت الصلح، ويجعل النفوس في حالة تفاعل مع شخصيات القصة وأحداثها، ويأتي الحدث في حالة مؤكدة بدلالة الفعل الماضي ، فقد كتب على بن أبي طالب رضي الله عنه كِتَابًا بين الرسول ﷺ وبين أهل الحديبية ، ولما كان الذهن في حالة تأهب لمعرفة ماذا بعد؟ جاءت جملة (فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) في غاية السرعة معطوفة بحرف العطف "الفاء" ليقوم هذا الحرف بدوره في الدلالة على السرعة ، وإعطاء المتلقي المعنى المتلهف لأجله.

ويبدأ الحوار بين علي – رضي الله –عنه وبين المشركين ، والرسول ﷺ (فَقَالَ المُشْرِكُونَ: لاَ تَكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَوْ كُنْتَ رَسُولًا لَمْ نُقَاتِلْكَ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «امْحُهُ»، فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْحَاهُ) فالمشركون طلبوا من علي رضي الله عنه عدم كتابة وصف النبي ﷺ – بأنه رسول الله ، واستخدام أسلوب النهي (لاَ تَكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) يدل على أنهم طلبوا ذلك بأسلوب فيه إلزام واستعلاء وقوة وتسلط ، وهذا يوحي بأنهم كانوا في حالة قوة ، وكان لهم حجة في حوارهم هذا ،إذ قالوا(لَوْ كُنْتَ رَسُولًا لَمْ نُقَاتِلْكَ) ويظهر استخدامهم لأسلوب الشرط مدى الإنكار لنبوة سيدنا محمد ﷺ ، فحرف الشرط (لو) حرف امتناع لامتناع ، وهو يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط ، فكونه ﷺ رسولا من عند الله ممتنع عند المشركين – لعنهم الله–، ويترتب عليه امتناع عدم المقاتلة ، وذلك الأسلوب ينقل التعنت من قبل المشركين وكأنهم يريدون عدم إتمام الصلح ، ولكن الرسول الكريم الحكيم الذي يحرص على المصلحة العامة

للطرفين والمسلمين خاصة يُصر على المصالحة ويقبل التنازل عن كتابة وصفه ﷺ، ويتدخل في الحوار ويقول بأسلوب أمري وملزم لسيدنا علي (فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «امْحُهُ»)، فهذا القول مؤكد وتم بالفعل من النبي ﷺ ، حيث أمر علىا رضي الله عنه بأن يمحو كتابة (رسول الله) من عقد الصلح ، بالإضافة لكونه جاء بطريقة سريعة معطوفا بالفاء ليسد الطريق على المشركين لعدم إتمام الصلح ، ويدفع تعنتهم بعدم كتابة " رسول الله" مع كون ذلك حقا ، وهذا من الحكمة النبوية الرشيدة.

والأحداث في حالة نمو،إذ يشتد احتدام الحدث بين سيدنا علي رضي الله عنه والمشركين ،إذ تستولي عليه الغيرة على سيدنا محمد ﷺ ، فكيف لا يكتب محمد رسول الله – وهو حق– ويشتد الأمر عنده لدرجة أنه يرفض أمر رسول الله ﷺ (امْحُهُ)، (فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْحَاهُ)،إذا كيف يمحو ما هو صدق ، ولذا استخدم أسلوبا فيه قوة وتأكيد، حيث تقدم النفي على المسند إليه الضميروخبره جملة فعلية ، فينفي عن نفسه القدرة على فعل ذلك ، وكأنه يريد أن تصل رسالة للنبي ﷺ بأن غيره يستطيع فعل ذلك أما هو فلا ، لأنه لا يمتلك القدرة النفسية لحبه الشديد لسيدنا محمد ﷺ ، وقد استشعر ذلك النبي ﷺ فقام بنفسه بفعل ذلك(فَمَحَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ) ، ولزيادة تأكيد حصول ذلك استخدم الفعل الماضي(محاه) مع إسناد الفعل للضمير الراجع للنبي ﷺ، مع النص على أن النبي ﷺ محاه بيده ، وهذا من قبيل التكميل ([1])، فذكر

[1] – التكميل هو :أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه . شروح التلخيص (٢٣١/٣) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

كلمة (يده) تزيل من ذهن المتلقي ما يتوهم أن النبي ﷺ محاه بأمره لشخص آخرغير سيدنا علي ليقوم بذلك ،وحدد أنه قام بمحوه بيده.

ويلاحظ مدى السرعة في الأحداث وترتيبها يدل ذلك استخدام حرف العطف (الفاء)، وكل ذلك يدل على الرغبة في تفويت الفرصة على المشركين لعدم اتمام التصالح ، والحوار جميعه يوحى برغبة النبي في الصلح ليس لضعفه وضعف المسلمين ، ولكن لما يترتب على ذلك من المنافع للمسلمين التي ربما لا يدركها سيدنا على رضي الله عنه آن ذاك.

ويتحقق الهدف المرجو الذي سعى إليه الحبيب المصطفى ﷺ وتم التصالح بين المسلمن وبين المشركين (وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، وَلاَ يَدْخُلُوهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلاَحِ، فَسَأَلُوهُ مَا جُلُبَّانُ السِّلاَحِ؟ فَقَالَ: القِرَابُ بِمَا فِيهِ) وهذا هو المشهد الرئيس وهو الهدف من القصة ، وهو ترغيب النبي ﷺ في المصالحة بين الكفار والمسلمين ، وإن كان بشروط تبدو في ظاهرها بأن فيها تحاملا على المسلمين ، ولكن عند التدبر نجد أن ذلك انتصار للمسلمين وللنبي ﷺ ، ففيه إرغام للكفار بالاعتراف بوجود المسلمين وحقهم في دخول مكة وأداء العمرة وهذه خطوة انتصار للدعوة الإسلامية في ذلك الوقت.

وعند التأمل في دلالات التراكيب للأساليب المستخدمة ، نجد الجملة(وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ)مبتدئة بالفعل الماضي الدال على تحقق وقوع الصلح وتأكيده ، فالمصالحة تمت بالفعل ، ولكن على ماذا كانت المصالحة ؟ فيأتي حرف الجر (عَلَى) ويجوز أن يكون معناه هنا (الاستعلاء) ، وهذا فيه إيحاء بدخول النبي ﷺ والمسلمين وهم في حالة من العلو المعنوى والانتصار ، ويجوز أن تكون " على " بمعنى

(الباء)([1])، ويكون التقدير (وَصَالَحَهُمْ بدخولها هُوَ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) ، ولكن جعلها على حقيقتها من الدلالة على العلو هو الأولى بالسياق ، إذ فيه ما يدل على علو النبي ﷺ .

ويلاحظ هنا صورة لخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في جملة (أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ) حيث أسند الفعل (يَدْخُلَ) للضمير الراجع للنبي (هُوَ) وأظهره ، وإن كان الظاهر إضماره لسبق الذكر ، فيقول (يَدْخُلُوَ أَصْحَابُهُ)،وهذا العدول ربما يكون لقصد زيادة في تأكيد دخوله مكه ﷺ مع أصحابه في الوقت الذي تم تحديده في وقت الصلح ، والنص على ذلك ، والتعبير بالفعل المضارع (يَدْخُلَ) لاستحضار هيئة النبي ﷺ وأصحابه وهم داخلون مكه ونقل صورتهم هذه لذهن المتلقي ، بالإضافة لإفادة التجدد والحدوث فالنبي ﷺ وأصحابة في حالة تأهب واستعداد للدخول ، ولإفادة مشاركة أصحاب النبي ﷺ له في دخول مكه استعمل حرف الجر (الواو) ، وإضافة (أصحاب) للضمير الراجع للنبي ﷺ تنقل مدى الحب والود والقرب الحاصل بينهما ، وتبعث الطمأنينة في قلوب المسلمين لقربهم من الرسول الكريم ﷺ ، وقد حدد الزمن في الصلح وهو (ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) فنص

---

[1] – من معاني "على" (موافقة الباء، كقوله تعالى " حقيق على ألا أقول "، أي بألا أقول) الجنى الداني في حروف المعاني المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) المحقق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، (ص ٤٧٨).

على الزمن نصا محددا، وفي ذلك بيان أن الأمور لا تؤخذ بالتعميم ، بل لا بد من التحديد لضمان نجاحها.

والشرط الآخر في الصلح (وَلاَ يَدْخُلُوهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ[1])السِّلاَحِ، فَسَأَلُوهُ مَا جُلُبَّانُ السِّلاَحِ؟ فَقَالَ: القِرَابُ بِمَا فِيهِ) ، والنص في الصلح على عدم دخول المسلمين مكة بالأسلحة ، ومن دخل بسلاح فلا يكون هذا السلاح إلا سيفا مَحفوظًا في جِرابِه، لأن (عادة العرب أن لا يفارقهم السلاح في السلم والحرب، وإنما اشترطوا أن تكون السيوف في القرب، ليكون ذلك أمارة للسلم، فلا يظن أنهم يدخلونها قهرا ..... والقراب: شيء يخرز من الجلود، يضع فيه الراكب سيفه وسوطه، ويعلقه من ورائه)([2]) ،وقد ذكر (جُلُبَّانِ السِّلاَحِ) ، وهو المكان الذي يوضع فيه السيوف ، وأراد السيوف نفسها من باب المجاز المرسل ، ولذا استخدم أسلوب الاستثناء من باب التأكيد على عدم حمل أسلحة إلا السيوف في قرابها، وأكثر المحدثين يروونه جلبان- مضمومة اللام، مشددة الباء ،وقد يحتمل أن يكون ذلك جلبان السلاح- ساكنة اللام غير مشددة الباء- جمع جلب ، بدليل قوله في رواية عن سفيان: إلا بجلب السلاح، وجلب السلاح كجلب الرحل، إنما هو

---

[1] - الجُلُبَّانِ : (جراب من الأَدَم يوضع فيه السيفُ مغمودًا، ويضع فيه الراكب سيفه وأداته) المعجم الوسيط ، مادة جلب.

[2] - أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م (٣٢٠/٢).

نفس خشب الرحل، وأحناؤه من غير أغشيته، كأنه أراد به نفس السلاح، وهو السيف خاصة من غير أن يكون معه أدوات الحرب من لأمة ورمح، وجحف ونحوها، ليكون علامة للأمن والسلم([1]).

والتعبير بالفعل المضارع (يَدْخُلُوهَا)، لاستحضار صورة المسلمين وهم يدخلون مكه بهذه الصفة المنصوص عليها ،وهذا يوحي بأنه لا يسمح بدخول المسلمين مكه بأي نوع آخر من الأسلحة غير السيوف ، ومن هذا يؤخذ أنه لابد في أي صلح أن تكون هناك مراعاة لمشاعر الخصم ، ولا يكون هناك ضغط على نفسيته ، فما أعظم رسولنا ﷺ وما أعظم ديننا الحنيف، والحرص على تحقيق المنفعة وإن كان بالتنازل عن بعض الأمور الشكلية.

ويأتي عنصر الحوار القصصي الذي يرفع الانسجام والتركيز والتفاعل من الطرفين المتصالحين (فَسَأَلُوهُ مَا جُلُبَّانُ([2]) السِّلَاحِ؟) وهذا السؤال مع كونه منطقيا يقتضيه تسلسل الأحداث داخل القصة ، إلا أنه يلبي الحيرة الكامنة في نفوس المسلمين ، فماذا يقصد الكفار بجُلُبَّانُ السِّلَاحِ؟والسؤال في قوته يدل على شدة رغبة المسلمين في إدراك الجواب ، وهذا الاستفهام حقيقي يدل على (طلب الفهم، والعلم بما سأل عنه،فهو يجهل الأمر الذي

---

[1] – أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٢/٣٢١،٣٢٠).

[2] – (أوعية السِّلَاح بِمَا فِيهَا)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، ١٣/٢٧٥.

يسأل عنه ، ولذا فهو يسأل عنه مستفهما)([1])، والمتأمل في صياغة هذا السؤال ، يلمح فيه سرعة الطلب بما يدل على التلهف للاستفسار لأجل المعرفة ، وذلك كله يفيده حرف العطف (الفاء) الدال على التعقيب وتأتي الإجابة من النبي ﷺ متناسبة مع السؤال وما فيه من رغبة في المعرفة السريعة ، فجاء معطوفا بالفاء (فَقَالَ: القِرَابُ بِمَا فِيهِ) فالقول محقق ومؤكد من النبي ﷺ ، والإجابة مركزة ودالة على المقصود ، وكأنهم يريدون النص على أن تكون السيوف في القراب ، ولذا نجد الدقة في التعبير فلم يقل القراب وسكت ، بل قال وما فيه ، للدلالة على أن المسلمين يدخلون مكه وفي حوزتهم القراب والسيوف بداخلها.

وتنتهي هذه القصة التي نقل فيها الرسول الكريم ﷺ ، الترغيب في الصلح وقد اعتمدت القصة في تشكيلها على مجموعة من الأساليب ، والأدوات الفنية البلاغية ، مماعاد على المعنى في النهاية فكان أشد رسوخا وتمكنا لدى المتلقي .

<u>الحديث الثاني:</u>

جاء في بَابُ الصُّلْحِ مَعَ المُشْرِكِينَ :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالحُدَيْبِيَةِ، وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ العَامَ المُقْبِلَ، وَلاَ يَحْمِلَ سِلاَحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا وَلاَ

---

[1] – الاستفهام في الصحيحين ، خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية، د/عبدالعزيز بن صالح العمار ، ص٤٤٧.

يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا، فَاعْتَمَرَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ، فَلَمَّا أَقَامَ بِهَا ثَلاَثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ»([1]) .

في هذا الحديث قصة يرويها ابن عمر وهي عبارة عن حادثة حدثت مع النبي صلى اله عليه وسلم ، وهي توضح كيف كان النبي ﷺ يميل للتصالح ،وبهذه الطريقة(القصة) يجذب انتباه المتلقي نحو المعنى الملقى عليه ،ويستميله في السماع ليقتنع بالمعنى الأسمى الهادف إليه الحديث ، وهو الترغيب في الصلح والسلم بين أفراد المجتمع بأكمله.

والمتأمل في الحديث الشريف يجد أن عناصر القصة قد ظهرت واضحة جلية ، فنجد الحدث وهو التصالح المترتب على الحدث الأساس وهو خروج النبي لأداء مناسك العمرة ، وتعرض المشركين له ومنعه ، ومعاودته للعمرة العام القادم، والزمان الذي خرج فيه لأداء العمرة في العامين على التوالين ، والمكان وهو (الحديبية)، وأبطال القصة متمثلة في النبي ﷺ وكفار قريش .

وأما الحوارالظاهر في الحديث فمرده إلى طبيعة بناء هذه القصة ،إذ قامت على مشهدين مع كفار قريش،المشهد الأول يعرض موقف كفار قريش حينما خرج النبي ﷺ معتمرا فحالوا بينه وبين البيت الحرام وهوبِالحُدَيْبِيَةِ ، فقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ، والمشهد الثاني متمثلا في حوار النبي ﷺ مع كفار قريش في العام المقبل بعد أداء مناسك العمرة ، وإقامته ثلاثة أيام بمكة، وأمرهم له ﷺ بالخروج ،

---

[1] – صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، (١٨٥/٣).

وكان لهذا الحوار دور فاعل في إثراء القصة ، وتعميق تفاعل المتلقي معها .

ويلاحظ القارئ ابتداء الحديث بالجملة مؤكدة في قوله : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ) مراعاة لحال المخاطب الذي تستولي عليه الدهشة والاستغراب من موقف النبي ﷺ ، إذ كيف يخرج معتمرا ويحول كفار قريش بينه وبين البيت ، والرسول الكريم يوافق ولا يحتد معهم ويقاضيهم على العودة العام المقبل لأداء العمرة، وهذا دليل على ميل النبي ﷺ للصلح والسلم وبغض التناحر والحروب ، فجاء التأكيد ب(أن) ليزيل هذا الاستغراب وهذه الدهشة .

والنبي ﷺ (إنما قاضاهم النبى هذه القضية التى ظاهرها الوهن على المسلمين؛ لسبب حبس الله عز وجل ناقة رسول الله (ﷺ) عن مكة حين توجه إليها فبركت به، فقال أصحابه: خلأت، فقال النبى (ﷺ) : (ما خلأت ولا هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل) وكانت إذا حولت عن مكة قامت ومشت، وإذا حرفت إلى مكة بركت،ففهمها رسول الله ﷺ من ربه ولم يتعرض لدخوله مكة، وقبل مصالحة المشركين) ([1]).

والتعبير ببنية الفعل الماضي (خرج ،حال) وفي قوله:(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ العَامَ المُقْبِلَ)عبربالفعل الماضي (خرج) ضاعف من تأكيد دلالة الخروج، وعمق من صدق مضمونها وواقعيتها ، فالمتلقي يعلم أن الرسول صلى الله قد خرج معتمرا ،وفي

[1] – شرح صحيح البخاري لابن بطال –٩٢/٨

طريقه قد حال الكفار بينه وبين البيت ، ومنعوه من آداء العمرة ، وهذا يرسم أمام الأذهان كيف سارت الأحداث في هذه الواقعة ، فالمشهد الأول خروج النبي وأصحابه لآداء العمرة ، وارتبط به مشهد آخر وهو منع الكفار لهم من آداء العمرة ، وكان منعهم سريعا ليس فيه تفكير ولا تروي ، لعدم رغبتهم في دخول النبي ﷺ مكه وآداء العمرة.

ويلاحظ العطف بالفاء (فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ) وذلك للدلالة على التعقيب مع السرعة ، والنبي ﷺ يميل للتصالح والسلم ، ولا يريد استخدام العنف والقتال والجدال مع الكفار، فلجأ لاختيار السلم والصلح، واستجاب لما قالوا ولم يدخل مكه، وتحلل من العمرة بنحر هديه ،والهدي هو ما يُهْدَى إلى البَيْت الحَرام من النَّعَم لِتُنْحر تقربًا إلى الله.

ودلالة الفعل اللغوية (حال) في قوله : (فحَالَ[1]كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ)، يرسم في الأذهان مشهدا مؤثرا، وقد حال الكفاربين النبي ﷺ والبيت الحرام ، وكأنهما شيئان متلازمان وقد وضع حائل بينهما ، وهذا ينقل للذهن مشقة تحمل ذلك على النبي ﷺ ومقدار الألم النفسي المستولي عليه ،ومع ذلك يقبل الصلح رغبة منه في المصلحة العامة للمسلمين ومنعا للتناحر والشقاق.

وسياق هذا المشهد ينطق بالإيجاز في ترتيب الأحداث ، هذا الإيجازالبليغ الذي يرسم في الأذهان صورة كاملة لما وقع مع النبي ﷺ آن ذاك ، ويفهم من السياق والمقام ، فقد كان هناك محاولة من النبي

---

[1] – (حال بين الشَّيئين :حجز وفصل بينهما)، لسان العرب ، مادة (حال).

ﷺ لدخول مكة وهناك كفار قريش في حالة تربص وتأهب ومنعوه من دخول مكة، ، وهو لم يقاومهم ويحاربهم وتحلل من عمرته بنحر الهدي،رغبة في السلم والتصالح.

ثم كان هناك مجال للتفكير من قبل النبي ﷺ في الأمر ، ولذا استخدم حرف العطف الواو في قوله: (وَقَاضَاهُمْ ([1])عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ العَامَ المُقْبِلَ، وَلاَ يَحْمِلَ سِلاَحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا وَلاَ يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا، فَاعْتَمَرَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ، فَلَمَّا أَقَامَ بِهَا ثَلاَثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ)، فكان ما توصل إليه النبي ﷺ هوالصلح ، وهذا الصلح مشروط بأن تكون العمرة العام المقبل، ولا يحمل عليهم سلاحا ، ولا يقيم بها إلا ماأحبوا، وهذا يعلم المسلمين الذكاء في إدارة الأزمات وعدم الحدة في مثل هذه المواقف ، فمن الحنكة إرضاء الخصم وتهدئته لأجل الظفر بما تريد وإن تأخر بعض الوقت ، كما فعل النبي ﷺ ، حفظا للمصلحة العامة وتجنبا للمشاكل والشقاق والخسائر من الجانبين المتخاصمين.

والتعبير بالفعل المضارع (يعتمر- يحمل- يقيم)جعل المشهد حاضرا أمام أعين المتلقي ، وكأنهم يشاهدون الرسول الكريم ﷺ - ومن معه

---

[1] - ق(ضَى الْقَاضِي لَهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ قَضَاءً وَقَاضَيْتُهُ حَاكَمْتُهُ (وَفِي حَدِيثِ الْحُدَيْبِيَةِ وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعُودَ أَيْ صَالَحَهُمْ) ، الكتاب: المغرب المؤلف: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفى: ٦١٠هـ) الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، باب القاف، ص ٨٨٧

وقد التزموا بما تمت عليه المصالحة ولم يحيدوا عنها ، وذلك إغراء لجميع المسلمين للتحلي بخلق الحبيب المصطفى ﷺ .

وقد رسخ الترغيب في الصلح بطريق القصة أسلوب الاستثناء في العبارتين (وَلاَ يَحْمِلَ سِلاَحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا ، وَلاَ يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا) ،إذ إن الصلح معتمد على إحساس الفريقين بالأمان وعدم الدخول في حرب وتنازع ، فالرسول الكريم صلى أكد ذلك بالنفي التام لعدم حمل السلاح إلا السيوف ، ثم جعل الكلام مؤكدا مرة أخرى في جعل الزمام بيد الكفار في إقامته في مكه ،تجنبا للتصادم ، فهو لا يقيم في مكه بعد آداء العمرة إلا ما أَحَبُّوا.

ويظهر عنصر الزمان بالقصة ، ويطوى الزمن طيا سريعا ، وقد انقضى العام الحالي وجاء العام المقبل (فَاعْتَمَرَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ، فَلَمَّا أَقَامَ بِهَا ثَلاَثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ)، وتم الصلح والتزم الرسول الكريم بما تم التصالح عليه ، وتمت العمرة بدلالة الفعل الماضي (فَاعْتَمَرَ) بالعام المقبل وهو الزمن الذي حدده (مِنَ العَامِ) فحرف الجر التبعيضي ،يفيد آداء العمرة في جزء من العام المقبل غير محدد، ولذا نص على دخول مكة وكان على الشروط المحددة (فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ)،فالعطف بالفاء أفاد السرعة في االتنفيذ مع التعقيب،والتعبير بالفعل الماضي في الفعل(دخل) والفعل الماضي (كان) جعل المتلقي ينتقل في فترتين من الزمن مختلفتين ، وقد رسمهما في ذهنه ، فدخول مكة متأكد وتم بالفعل في العام المقبل ، بالشروط والمصالحة التي تمت وتأكدت في العام الماضي .

ويأتي المشهد الأخير من القصة متمثلا في (فَلَمَّا أَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ)، ونجد أنه مبتدئا بالظرف (لما) بما فيه من الإبهام والشرط ، يحفز المتلقي لمتابعة مدخوله ، ويترقب ما يترتب عليه ، ويتعلق به، ثم يأتي الفعل (أَقَامَ) بدلالته على الاستقرار والمكوث، ليمد القصة بعنصر المكان والزمان ،ويجعل الذهن يترقب ليعلم مكان الإقامة وزمانها، ويأتي المتعلق الجار والمجرور(بِهَا) ليحدد مكان الإقامة وهي مكة ، وينقل للمتلقي اختصاصه ﷺ بالإقامة في مكة، وقد جاء مقدما على المفعول به(ثَلَاثًا)، وذلك لتعلق ذهن المتلقي بالمكان الذي أقام به النبي ﷺ ، ولأهميته ، ثم جاء المفعول به ليحدد المدة التي مكثها في مكة ، وهي ثلاثة أيام ، ثم يأتي جواب الشرط ، ليوضح الإبهام الكائن في الأذهان، إذ السؤال الذي يجول في الفكر هو ما الذي حصل بعد مكوثه ﷺ ثلاثة أيام في مكة ؟ فتأتي الجملة (أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ) جوابا عما في الأذهان ، لتزيل هذا الإبهام فقد أمر الكفار النبي بالخروج ، واستجاب لطلبهم وخرج دون جدال،وهذا يرسخ حرص الرسول الكريم على التصالح والسلم والتنفير من الخصام والشقاق والتناحر، بمحافظته على شروط المعاهدة.

ويلاحظ القيمة البلاغية للدلالة اللغوية للفعل (أَمَرُوهُ) في هذا الحوار القصصي (أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ) فهو ناطق بالإلزام المتحقق لخروج النبي ﷺ من مكة ، وجاءت الإجابة بسرعة (فخرج) لتصورسرعة الخروج عقب أمرهم ، بالإضافة للتعبير بالفعل الماضي الدال على التأكيد والتحقيق للخروج، وليعمق صدق المشهد وواقعيته ،وقد اعتمد الكلام في تأكيده على أسلوب الشرط ،إذ اعتمدت على جملتين شرطيتين سلمت الأولى المعنى للجملة الثانية في انسجام وترابط تام للنظم، حيث أن (أسلوب

الشرط ينطوي على معنى ذي طبيعة مزدوجة ، يتحقق لطرفيها ارتباط منطقي ،إذ يكون أحدهما سببا في الآخر ، ولا يفهم هذا الآخر إلا بوصفه نتيجة منطقية مترتبة على الأول ، فلا تحدث إلا به، وترد أداة الشرط لتبلور رابطا لفظيا جامعا بين الطرفين المشار إليهما)([1])، بالإضافة إلى ما في الشرط من القدرة على بث التشويق والتلهف لدى المتلقي لمعرفة الجواب بعد سماع الشرط ، والمشهد ناطق بالإيجاز البليغ الذي نقل إلى الأذهان كما هائلا من الأحداث والمواقف في عبارة موجزة ، وهذا من البيان النبوي الشريف.

وتنتهي القصة وقد نقلت للمتلقي مدى تمسك الرسول الكريم ﷺ بالصلح والتصالح ، وكيف رأى أنه الطريق الأنسب للبعد عن التناحر والتنافر ، وكيف فعل مع الكفار ليتمسك بالعهد بينه وبينهم ، وقد اعتمدت القصة في تشكيلها على مجموعة من الأساليب البلاغية مما عاد على المعنى في النهاية فكان أشد رسوخا وتأكيدا لدى المتلقي .

والحديث يدل على مَشروعيَّةُ الصُّلحِ مع الكفَّارِ، وعقْدِ الاتِّفاقياتِ والمعاهَداتِ السِّياسيَّةِ والعسْكريَّةِ معهم لِصالحِ المسلمينَ ، وكذلك الوَفاءُ للمشْرِكين بعُهودِهم.

الحديث الثالث:

جاء في بَابُ الصُّلْحِ فِي الدِّيَةِ :

---

[1] – في صحبة النص ، مختارات ودراسات، د.طارق شلبي، ص٣٢٩، دار البراق، القاهرة ، بدون.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ، أَنَّ أَنَسًا، حَدَّثَهُمْ: أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ ([1])،فَطَلَبُوا الأَرْشَ([2])، وَطَلَبُوا العَفْوَ، فَأَبَوْا، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَمَرَهُمْ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ: «يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ»، فَرَضِيَ القَوْمُ وَعَفَوْا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ» زَادَ الفَزَارِيُّ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، فَرَضِيَ القَوْمُ وَقَبِلُوا الأَرْشَ. ([3]).

عرض الرسول الكريم ﷺ قضية هامة معتمدا على القصة ، لترسيخها في الأذهان ، وقد اكتملت عناصر القصة ، من عقدة ، وأشخاص، وحوار، وحدث ،والزمان والمكان وتعاضدت معا بمساندة مجموعة من الأساليب لاستحضار الحدث في الأذهان حتى يطبق على كل حالة مماثلة لهذه الواقعة، إذ الغرض الأساس من القصة هو الحرص على تطبيق شرع الله تعالى من القصاص، أو الدية إذا لم يكن هناك تصالح.

---

[1] – (الثَّنية مقدم الْأَسْنَان، وَالْجَارِيَة الْمَرْأَة الشَّابَّة لَا الْأمة هُنَا، ليتصور الْقصاص بَينهمَا.) عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (١٣/ ٢٨١).

[2] – الأرش (ما وجب من المال في الجناية على ما دون النفس)، المعجم الوسيط – مادة أرش– .

[3] – صحيح البخاري كتاب الصلح ،(١٨٦/٣).

و"العقدة"وهي قمة الأزمة كما يطلق عليها النقاد ،وعمود القصة، وهي التي تحتاج إلى حل ، والعقدة في قصة الحديث هي قبول أهل الجارية التصالح أم لا، والأحداث تدور حولها إلى أن يأتي الحل وتنكشف الأمور، وأبطال القصة هم أنس ، والربيع ابنة النضر، والجارية ، وأهل الجارية، ونلاحظ أنه لا يتعلق بمعرفة أسماء أهل الجارية ولا اسمها فائدة ، ولذلك لم يصرح بإسمهم، والزمان كما تدل عليه الأحداث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ،أما الحوار فقد تحقق بين أبطال القصة ، وقد قام بدورمهم في الكشف عن طبيعة كل شخصية من شحصيات أبطال القصة ، وكما سيظهر في ما بعد ثقة أنس في الله سبحانه وتعالى بأنه سيأتي بالفرج.

فالإسلام دين التسامح والمحبة ، ودين يرغب في العفو عند المقدرة ، ويدعو إلى التصالح بين جميع أفراد البشرية ، ويفتح المجال للجميع في ذلك ، فها هي الرُّبَيِّعَ بنت النضير كسرت ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ،وطلبوا العفو والتصالح ودفع الإرش (دية الجوارح) فرضى القوم وتصالحوا على ذلك ، وأقر ذلك النبي ﷺ ولم يصر على القصاص ، وبذلك يرغب في الصلح والعفو والتسامح.

وأول ما يطالع المتلقي في النص الشريف توظيف (أن) المؤكدة ، التي جعلت الاستهلال في غاية التأكيد والتشويق ، ولما كان المتلقي خالي الذهن من هذا الخبر فكان الظاهر أن يلقى خاليا من التأكيد، لكونه غير متردد ولا منكر له، ولكن نزل المتلقي منزلة المتردد أو المنكر للخبروذلك دفعا لأي تعجب أو استعظام من المخاطب لأي جزء من أجزاء الخبر الآتي ، لما فيه من استبعاد الحدوث.

ويأتي خبر (أن) فعلا ماضيا(كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ) ليجعل الحدث متحققا لا محالة ، وبذلك يجعل التأكيد متحققا بدلالة الفعل الماضي و(أن) في بداية الجملة ، فالرسول الكريم يقص قصة وقعت بالفعل (فالقصص النبوي منطلقه وأساسه الصدق والواقعية اللذان يستمدان معنييهما وقيمهما من تلك القوة التي تتضمنها مجموعة الصفات الخلقية والدينية المجتمعية في شخصية النبي ﷺ)([1]).

ويلاحظ الإيجاز في عرض الأحداث (فطَلَبُوا الأَرْشَ، وَطَلَبُوا العَفْوَ، فَأَبَوْا، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَمَرَهُمْ بِالقِصَاصِ)،(فَطلب قوم الربيّع من قوم الْجَارِيَة أَخذ الْأَرْش. .. ، يَعْنِي: قَالُوا: خُذُوا الْأَرْش أَو اعْفُوا عَن هَذِه، فَأَبَوا، يَعْنِي: قوم الْجَارِيَة امْتَنعُوا فَلَمَّا رَضوا بِأخذ الْأَرْش ولَمَّا بِالْعَفو، فَعِنْدَ ذَلِك أَتَوا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وتخاصموا بَين يَدَيْهِ، فَأَمرهمْ النَّبِي، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بِالْقصاصِ)([2])، فنجد الحوار ينطق بالإيجاز البارع والتركيز والعمق في عرض الأحداث، وكل جملة تنطوى على جمل تفهم من خلالها ، وذلك من البلاغة النبوية العالية المعجزة.

فنجد أن الأحداث توارت بسرعة خلف الألفاظ الموجزة ، ورسِمت في الأذهان المواقف والمتلقي استحضر الأحداث كاملة من جميع الأطراف من ذهاب وإياب ،وطلب ورفض ،وشد وجذب بين أهل الربيع وأهل الجارية (الطرفان المتصالحان) ، وذهاب للنبي ﷺ ليحكم بينهم ،وسرعة في

---

[1] – ينظر : من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف ،د/ فتحيه فرج العقدة – ط ١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣مـ ، مطبعة الأمانة ،ص ٢٥٨.

[2] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري ،(٢٨١/١٣)

الطلب بدلالة (الفاء) حرف التعقيب ، فبمجرد ما حصل الكسرمن الربيع لثنية الجارية ، حصل طلب الأرش مباشرة ، وجاء طلب العفو عن القصاص بتريث من أهل الربيع، بدلالة العطب بالواو (وطلبوا العفو)،ولكن جاء رفض الأرش والتصالح والعفو من أهل الجارية بسرعة بدلالة العطف بالفاء(فأبوا) نظرا للضرر الواقع على الجارية ، والجميع بسرعة ذهبوا للرسول ﷺ ليحكم بينهم بالعدل ، ونظرا لوضوح القضية جاء حكم النبي ﷺ بالأمر بالقصاص ، ولذا قام الإيجاز بدور فاعل في هذه القضية ، حيث إن الحدث لا يتحمل الإطناب ، فالكل في عجلة لمعرفة النتيجة "التصالح أم القصاص".

ويأتي عنصر المفاجأة في القصة بقول أنس بن النضير (فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا) ،في أسلوب الاستفهام الدال على الاستبعاد الذي اُستخدم في الحوار (أَتُكْسَر) ليجعل الانتباه عند المتلقي في أعلى درجاته ، إذ كيف يرفض ويستبعد أنس كسر ثنية الرُّبَيِّعِ وهذا هو القصاص ، ولذا جاء الفعل مبنيا للمجهول ، لأن أنس في حالة تركيز على فعل الكسر هل ينفذ أم لا ،ولا يعنيه من ينفذ الكسر، وتظهر علامات الحزن والخوف والتوجع المسيطر على أنس ، ويشعر بذلك المتلقي من خلال سريان ذلك في تعبيره بأسلوب نقل ما بداخله في صورة حقيقية وواقعية ،وتوارت الأحاسيس خلف الألفاظ ، ولكن استشفها المتلقي، بالإضافة إلى أن المتلقي يستشف الثقة التي يتحلى بها أنس في كلامه مستمدا إياها من ثقته بالله تعالى ،ويأتي قول النبي ﷺ جملة حوارية في غاية التركيز، للتقليل من روع أنس وتهدئته وجعله يتقبل الامر (فَقَالَ: «يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ»

،(ولم يُنكر أنس حكم الشَّرْع، وَالظَّاهِر أَن ذَلِك كَانَ مِنْهُ قبل أَن يعرف أَن (كتاب الله الْقصاص) وَظن التَّخْيِير لَهُم بَين الْقصاص وَالدية، أَو كَانَ مُرَاده الاستشفاع من رَسُول الله، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، أَو قَالَ ذَلِك توقعاً ورجاء من فضل الله تَعَالَى أَن يُرْضِي خصمها ويلقي فِي قلبه أَن يعْفُو عَنْهَا)([1])، ولذا جاء العطف بالفاء التي تفيد التعقيب وسرعة الرد (فقال) من الرسول صلى الله عليه وسلم، لتذكيره بذلك .

ويأتي النداء ب"يا أنس كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ " ، والنداء (يهيئ المنادي وينبهه فيصغى بعناية وتشوق إلى ما يوجه إليه بعد النداء ، ويترقبه ويتطلع إلى معرفته والإحاطة به)([2])، وإيثار حرف النداء (يا) في نداء أنس ، لعلو مكانته ورفعتها عند النبيﷺ ، ولذا أراد تذكيره بما يجب وبما يعلمه أنس نفسه ، ولذا جاء بعد النداء بجمله تقريريه (كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ) توجز حل ، الخلاف بين الفريقين المتخاصمين ، ورفقا بأنس لم يقل ﷺ (نعم ستكسر ثنية الربيع) وإنما جاء الجواب على خلاف ما يتوقع ويحتوى على الإجابه بطريق المفهوم ، وممكن أن يندرج تحت الأسلوب الحكيم ([3])، لذا رد عليه السلام بقوله :(يا أنس كِتَابُ اللَّهِ

---

[1] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري ،(٢٨١/١٣).

[2] – التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه ، د. بسيوني عبدالفتاح فيود ص٣١، مطبعة الحسين الإسلامية ، ط١/١٤١٤هـ – ١٩٩٣مـ

[3] – "هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له"، لإيضاح في علوم البلاغة المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن

القِصَاصُ) ، لبيان أنه هو الأهم للسؤال عنه، وذلك تذكيرا له بما قد يجب، وإقناعا له بقبول الأمر الواقع بطريق في غاية البلاغة والامتاع.

وجاء في إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ، أن الكلام على حذف مضاف تقديره (حكم الكتاب) ، ويجوز أن يكون كتاب الله بالنصب على الإغراء أي عليكم كتاب الله ، والقصاص بالرفع مبتدأ حذف خبره أي القصاص واجب أو مستحق أو نحو ذلك([1])،وبذا نجد أن الجملة النبوية مركزة وفي غاية الإيجاز وتحمل المعنى المراد وتقدمه لأنس ، ومنه للمتلقي ببراعة.

ونلاحظ الترابط والتناسب بين الجمل فجملة (أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا) جملة استفهامية إنشائية، وتأتي بعدها جملة (لا) وتقديرها (لا تكسر) وهي جملة خبرية لفظا ومعنى مفصولة بدون حرف عطف يربط بين الجملتين ، لقوة الترابط المعنوي بين الجملتين(السؤال والجواب) الذي يغني عن الرابط اللفظي .

ثم نلاحظ الوصل بين الجملتين (لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ،) ، لكمال الانقطاع مع الإيهام ، لأن الجملة الأولى (لا) وتقديرها (لا تكسر) وهي

عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت ط٣ ، ٢(/٩٤).

[1] – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ ،(٤٢٦/٤).

جملة خبرية لفظا ومعنى ، والجملة الثانية (وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ) ،وهي جملة إنشائية لفظا ، فهي قسم بالله ، ولذا جاءت معطوفة بحرف العطف على الجملة السابقة .

فنجد القسم – من أنس– بدلالته التأكيدية القوية على عدم كسر ثنية الرُّبَيِّعِ (وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا)، يتأكد لدى المتلقي ما فهمه من الاستفهام الاستبعادي السابق من أنس، فهذا القسم منه إنما كان (ثقة بالله فى أن يجعل له مخرجًا؛ لأنه كان ممن يتقى الله، فأجاب الله دعاءه وأبر قسمه بأن يسر القوم لقبول الأرش والعفو عن القصاص، فلذلك قال النبى (ﷺ) : (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) ولم يجعله فى معنى المتألى على الله بغير ثقة)([1])،وفي نهاية القصة يحدث ما كان لا يتخيله المتلقي من هذا الحوار وإذا بأهل الجارية يقبلون الصلح من أهل الربيع بدلا من القصاص،ولكن الرسول لم يستغرب ذلك ، لأنه استشف ثقة أنس العالية في أن ربه سوف يجد له مخرجا، خصوصا أن أنس قد أقسم بالله على أن لا تكسر ثنية الربيع ، ولذا جاء الرسول ﷺ بجملة مبتدئة بالتأكيد (إن من عباد الله من لوأقسم على الله لأبره)، ليوضح للمتلقي ضرورة الثقة بالله والتوكل عليه في جميع الأمور حتى لوظهرت للرائي استحالتها ، ومعنى (لَأَبَره) (صدقه، يُقَال بر الله قسمه وأبره)([2])، ثم جاء بالشرط (لو أقسم على الله) و(لو) هنا ليست حرف شرط يدل على

---

[1] – شرح صحيح البخاري ،ابن بطال، ٨/٩٤.

[2] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٨١/١٣)

الامتناع ([1])، بل هي حرفَ شرطٍ للمستقبل، بمعنى "إنْ" وهي حينئذٍ لا تُفيدُ الامتناع، وإنما تكون لمجرَّد ربطِ الجوابِ بالشرط، كإنْ، والأكثرُ أن يَليها فعلٌ يدل على المُستقبل معنًى لا صيغةً ، كما في كلام النبي ﷺ هنا ، ويكون المعنى (لو يقسم على الله لأبره)، فالله لا يخذل عباده أبدا ،فهي جملة في غاية التأكيد والوضوح ،إذ اعتمدت على جملتين شرطيتين سلمت الجملة الأولى المعنى إلى الجملة الثانية في ترابط وتلاحم وتناسب بليغ.

(فَرَضِيَ القَوْمُ وَقَبِلُوا الأَرْشَ)فهذا دليل على التصالح بين الطرفين (لِأَن قبُول الْأَرْش عوض الْقصاص لم يكن إلاَّ بِالصُّلْحِ)([2]).

وبذا نجد كيف ظهرا جليا للمتلقي ترغيب النبي ﷺ في العفو والتصالح عند الخصومة إذا تراضت الأطراف وعدم الإصرار على القصاص ، فالدين الإسلامي دين التسامح والتصالح، وكان الاعتماد في طرح فكرة الترغيب في التصالح طريق القصة ، وهو عبارة عن قص واقعة وقعت بالفعل وأبطالها معرفون .

---

[1] – ("لو" الشرطية غير الامتناعية شبيهة "بإن الشرطية"؛ فهما يفيدان –غالبا–١ تعليق الجواب على الشرط، ويوجبان أن يكون زمن الفعل في جملتي الشرط والجواب مستقبلان مهما كان نوع الفعل وصيغته، كما يوجبان –أيضا– أن يكون مستقبلا)، النحو الوافي المؤلف: عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: دار المعارف الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة ، ٤/ ٤٩٥.

[2] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (١٣/ ٢٨٠).

الحديث الرابع :

بَابُ قَوْلِ الإِمَامِ لِأَصْحَابِهِ: اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ»(١) .

هذا الحديث يأخذ طريق القصة في عرض الفكرة الرئيسة التي يريد الرسول صلى ترسيخها في ذهن المتلقي ، وهذه القصة مع إيجازها فهي تتشتمل على عناصر القصة من أشخاص ، وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل قباء، والحدث يتمثل في مشهدين مشهد التقاتل بين أهل قباء بالحجارة ، ومشهد الصلح بينهم ، والحوار بين النبي ﷺ ومن أخبروه بالحدث ، والمكان(قُبَاءٍ) والزمان هوعصر النبي ﷺ ، وقد تعاضدت الأساليب مع هذا الطريق في دقة متناهية وإيجاز بليغ لنقل المشاهد للمتلقي وكأنها أمام أعينهم يشاهدونه ويرصدون أحداثه.

بدأ الحديث بأسلوب مؤكد مما لا يكون معه مجال للشك في وقوعه (أَنَّ أَهْلَ(٢) قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا) (وهما الأوس والخزرج، وبنو عمرو بن عوف بطن كبير من الأوس فيه عدة أحياء كانت منازلهم بقباء)(٣) ، ويلاحظ أن

---

١ – صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، (١٨٤/٣).

٢ – أهل الدَّار: سكَّانُها ، المعجم الوسيط.

٣ – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) اعتنى بها: خليل مأمون شيحا

القصة ركزت على المشكلة الأساسية وهي الاقتتال التي تمحورت عليها الأحداث، والمشكلة جزء من نسيج وبناء القصة، ولاحظ الدقة في التعبير بلفظ (أَهْلَ قُبَاءٍ)، فالطرفان المقتتلان كلاهما من سكان قباء ، وهذا يعنى مدى الترابط بينهما ومع ذلك حصل معهما ما حصل وهو (اقْتَتَلُوا)، وهذا الأمر حدث بالفعل من الطرفين، وكان التناحر شديدا لدرجة أنهم تراموا بالحجارة ، وجاءت جملة (حَتَّى تَرَامَوْا بِالحِجَارَةِ) متصدرة ب(حتى) لتؤذن بالوصول إلى الغاية التي هي القصوى في النزاع ، التي تسببت في تدخل النبي ﷺ ، فلم يكن نزاع بالألفاظ بل تجاوز القول إلى الفعل ، وكان ذلك مستمرا ومتكررا ، والنص على لفظ (بِالحِجَارَةِ) لتحدد نوع الشيء الذي تراموا به ،فليس بالكلام ولا السلاح، وإنما بالحجارة ، بالإضافة إلى أن هذا الحدث (الترامي بالحجارة) حصل من الطرفين غير مقتصر على طرف دون الآخر،فقد (كان بينهما حق فتنازعا فيه فقال أحدهما: لآخذنه عنوة. وقال الآخر: بينى وبينك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالأيدى والنعال)([1]).

فلما حصل ما حصل من الاشتراك في ترامي الأحجار أخبر الرسول ﷺ بما حدث ، وكان الإخبار على وجه السرعة ولذا كان العطف بالفاء دون غيرها من حروف العطف (فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ) فالموقف لا يتحمل التأخير حتى لا تتفاقم الأمور، ثم إن الفعل جاء مبنيا للمجهول

الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م،(٥١/٣).

[1] – شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨٤/٨).

(أُخْبِرَ) رغبة في الإيجاز لضيق الوقت ، ولأن المتلقي لا يعنيه أن يعرف من فاعل الإخبار بقدر عنايته لمعرفة هل تم إخبار النبي ﷺ أم لم يتم، وأشار إلى هذه الواقعة باسم الإشارة البعيد (ذلك) وذلك لتعين المشار إليه ، فقد أخبر الرسول بأمر الاقتتال بين أهل قباء وكيف تم تبادل الضرب بالأحجار،ونظرا لأن ذلك الأمر قد يكون مستهجنا وكان من المفترض ألا يقع فقد استخدم اسم الاإشارة البعيد(ذلك) في التعبير لاستهجانه واستنكارذكره في حضرة النبي ﷺ

ونلمح المشهد الأخير المنتظر سماعه ، فالمتلقي في حالة من التلهف لمعرفة رد فعل النبي ﷺ ، وكيف يكون تصرفه عندما أخبر بالحادثة ، فيأتي الرد من قبل النبي ﷺ على وجه السرعة ، ردا مريحا لذهن المتلقي ولحالته القلقة نتيجة لهذا التقاتل بين أهل قباء (فَقَالَ:«اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ») وجاء العطف بالفاء التي تنقل هذه السرعة للمتلقي ، وبطريق آخر تنقل هذه الرغبة النبوية في الصلح والتصالح بين الناس والمتخاصمين ، رغبة منه في أن يسود السلم بين المجتمعات المسلمة فقال هيا بنا نصلح .

والموقف لا يتحمل التأخير خوفا على الأطراف المتقاتلة فيستخدم النبي ﷺ في بنائه التركيبي للجملة ألفاظا في غاية الدقة والتركيز (اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ) فأسلوب الأمر دال على الإلزام ، ناطق بضرورة الذهاب للإصلاح بين الطرفين ، وعدم التواني في ذلك ، حرصا على الطرفين من الضرر الناجم من الترامي بالأحجار ، وحرصا على الحالات النفسية لأهلي الأطراف المتقاتلة .

والنص الكريم لم يوضح للمتلقي من هؤلاء الذين ذهبوا مع النبي ﷺ ، للإصلاح بين الفريقين المتخاصمين ، فالتركيز هنا على فعل الذهاب لا على الأشخاص ، و الحوار يدل على أن الذهاب كان من النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم ، ولذا لم يتوجه الأمر لهم بالذهاب فقط وإنما الذهاب سيكون من النبي والصحابة الذين معه في هذه اللحظة جميعا، ولذا استخدم كذلك ضمير الجمع ("اذهبوا "و "بِنَا" و" نصلح" أي نحن) فالنبي ﷺ لم يقل سأذهب لأصلح بين الطرفين وإنما أشرك الجميع في عملية الإصلاح ، فالأفراد جميعا عنصر مهم في الإصلاح ، وليس ذلك مقتصرا على فرد دون آخر ، وهذا ما تنقله العبارة في تركيز تام، وكأنه يستدعي الهمم جميعها للقيام بعملية الإصلاح، فيؤخذ من الحديث (خروج الإمام مع أصحابه للإصلاح بين الناس عند تفاقم أمورهم وشدة تنازعهم)([1]).

ويلاحظ رغبة الرسول ﷺ لاستحضار عملية الإصلاح بين الطرفين في ذهن المتلقي، وتجديدها كلما لزم الأمر فعبر بلفظ المضارع(نُصْلِحُ) المسند لضمير الجمع ، وها هو المشهد والأطراف جميعها في حالة ثبات في حضرة النبي الكريم والكل يقوم بدورة في إصلاح ما بين الطرفين، وفي حالة استمرار ومحاولات وعدم انقطاع .

ويأتي التعبير بالظرف المبهم الذي لا يتبين معناه إلا بإضافته إلى اثنين فصاعدا (بَيْنَهُمْ) مضافا للضمير الراجع على الفريقين المتخاصمين ، فالصلح محدد بكونه بين هاتين الفئتين والضمير قام بدوره في الربط

---

[1] – شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/٨٤).

والتماسك بين أجزاء الكلام، ويجوز أن يكون معنى (بَيْنَهُمْ)([1]) من البين وهو البعد الفرقة ، ويكون الأمر الصادر من النبي ﷺ للجمع الذي أخبره ، بأن يذهبوا جميعا ليصلحوا فرقتهم ، وإزالة أسباب الفرقة بين الطائفتين المتخاصمتين.

والحديث يظهر ما كان عليه النبى (صلى الله عليه وسلم) من التواضع والخضوع والحرص على قطع الخلاف وحسم دواعى الفرقة عن أمته كما وصفه الله تعالى.

ونجد هذه الأقصوصة النبوية المركزة ، قد نقلت حادثة كاملة ومشاهد تامة قام بها أبطال القصة ونقلت الحوار الذي تم بيهم ، ونقلت الفكرة الرئيسة في صورة مشوقة ومؤثرة ، واعتمدت على أساليب بلاغية متعددة آزرت طريق القصة في ترغيب المتلقي في الإصلاح بين المتخاصمين .

---

[1] – الْبَيْنُ : جَاءَ عَلَى وَجْهَيْنِ: يَكُونُ الْبَيْنُ الْفُرْقَةَ، وَيَكُونُ الْوَصْلَ ، لسان العرب ، باب الباء.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أفصح العرب بيانا ، وأشرفهم نسبا وخلقا ،الذي آتاه الله جوامع الكلم وخصه بالفصاحة والبيان ، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ، وهي:

النتائج:

١-تعددت طرق العرض في البيان النبوي للترغيب في معنى الصلح بين التقرير ، والقصة ، ثم طريق الحوار ، وكان أكثر الطرق ظهورا هو طريق التقرير ، وهو بدوره رسخ المعنى ونفذ به إلى أعماق النفس ، ، والقصة التي تستميل المتلقي وتجذبه ليتمعن المعنى ، ثم يقتنع به ، ففيها امتاع واقناع، ثم الحوار وما فيه من قدرة على استقطاب المتلقي بقدرته على التشويق والترقب

٢-تنوعت الأساليب البلاغية التي احتوت معنى الصلح في البيان النبوي ، والمندرجة تحت الطرق السابقة ، وقامت بدورها في ترسيخ المعنى بما فيها من دلالات وظلالات إيحائية ، وقد اعتمد العرض على الحقيقية بعيدا عن المجاز ، وهذا يتوافق مع الترغيب في الصلح المقتضي عرض المواقف بحقيقتها معتمدا على أساليب إنشائية تساعد على حشد المعاني في ذهن المتلقي.

٣-التنويع في طرق العرض في البيان النبوي في الترغيب في الصلح، يتناسب مع جميع حالات المستمعين واستعداداتهم النفسية والذهنية ، وقدرتهم الاستيعابية.

٤-تنوع طرق العرض للترغيب في الصلح في البيان النبوي مرتكزا على المواقف الحياتية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه ، وتدخل فيها الحبيب المصطفى للإصلاح وتنقية النفوس ، لإشاعة جو السلم والمحبة .

٥- هذه الطرق التي عرض من خلالها مواقف النبي صلى الله عليه وسلم للترغيب في الصلح ، تظهر الإعجاز النبوي الشريف في تعرضه لمشكلة من مشكلات العصر الحديث في مختلف المجتمعات ،والتي تسعى إليها الحكومات المختلفة لإيجاد حلول للقضاء على الفتن والتناحر بين الأفراد ، وقد توصل إليها الحبيب المصطفى بترغيبه في التصالح بتقديم بعض التنازلات من الطرفين ، وعقد المعاهدات للصلح ، والعفو عند القدرة على ذلك في القصاص، والحط عن الغريم في دينه، وغير ذلك من المواقف التي تظهر سماحة ديننا الإسلامي الحنيف.

وبعد ، فإن البيان النبوي الشريف هو الشعاع الذي يضيء لنا جنبات الظلام في كل الأوقات ، وهي النبراس الذي يهتدى به جميع العالم ، ولذا فيجب نشر السنة النبوية الشريفة على مسامع وأعين جميع البشرية ،في جميع أنحاء العالم ، وإظهار دعوته للتصالح ، المترتب عليه السلام والأمن والمحبة والمودة ، ليرى العالم أجمع ذلك، مع ما فيه من جماليات بلاغية وفنية تجذب السامع والقارئ ، ليجد متعته الفنية ، مع الإقناع لعقله.

كما يوصي الباحث ، بوجوب التركيزعلى نشر سماحة الإسلام ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، في شتى المجالات البحثية ، وخصوصا دعوته صلى الله عليه والسلم للتحلي بالأخلاق المجتمعية الرفيعة التي تعلي المجتمع ، ومن ثم ازدهاره.

فهرس المراجع

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ .

٢- – الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية ، د/ عبدالعزيز بن صالح العمار،جامعة الإمام محمد بن سعود ط١٤٣٠،١هـ ، ٢٠٠٩هـ .

٣- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ن دم عبدالحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥هـ.

٤- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.

٥- الإيضاح في علوم البلاغة المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت ط٣.

٦- البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

٧- التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه ، د. بسيوني عبدالفتاح فيود ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ط١/١٤١٤هـ - ١٩٩٣مـ .
٨- التصوير الفني في الحديث النبوي ، الدكتور محمد الصباغ ، المكتب الإسلامي، ط،١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨مـ .
٩- الجنى الداني في حروف المعاني المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
١٠- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ،المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م ،
١١- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، د/ عز الدين السيد ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ،١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م.
١٢- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) اعتنى بها: خليل مأمون شيحا الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٣- سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ت: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٤- سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م

١٥- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية المؤلف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ) الناشر: مؤسسة الريان الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

١٦- شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

١٧- صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

١٨- العبارة والإشارة في نظرية الاتصال ، د/ محمد العبد ، مكتبة الآداب ن القاهرة ط٢ ،١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧مـ .

١٩- عضوية الحوار في العمل القصصي ، د. عبداللطيف محمد الحديدي ، بدون .

٢٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢٢- الفِقهُ الميَسَّر،: أ. د. عَبد الله بن محمد الطيّار، أ. د. عبد الله بن محمّد المطلق، د. محمَّد بن إبراهيم الموسَى الناشر: مَدَارُ الوَطن للنَّشر، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى ١٤٣٢/ ٢٠١١ مـ.

٢٣- – فن التحدث والإقناع ، تأليف ، وليم ، ج مأكولاف ، ترجمة توفيق مازن ،دار المعارف ، ط ٤.

٢٤- في صحبة النص ، مختارات ودراسات، د.طارق شلبي، ، دار البراق، القاهرة ، بدون.

٢٥- القصص في الحديث النبوي ، دراسة موضوعية فنية، د.محمد حسن الزير،ط١٤٠٥،٣هـ، ١٩٨٥مـ

٢٦- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٢٧- مدخل إلى النقد الأدبي الحديث ، د/ شلتاغ عبود شراد ، دار مجدلاوي ، ط١، ٢٠١٠-٢٠١١مـــ.

٢٨- معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني "٨١٦هـــ،١٤١٣مـــ)،ت: محمد صديق المنشاوي ،دار الفضيلة ، بدون،.

٢٩- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ،١٩٨٤مـــ مجدي وهبة وكامل المهندس.

٣٠- المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، الدكتورة /إنعام فوال عكاوي،مراجعة /أحمد شمس الدين ،طبعة دار الكتب.

٣١- معجم اللغة العربية المعاصرة ،د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـــ) بمساعدة فريق عمل ، الناشر: عالم الكتب،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـــ - ٢٠٠٨ م.

٣٢- المغرب المؤلف: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفى: ٦١٠هـــ) الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٣٣- من الخصائص البلاغية واللغوية فى أسلوب الحديث النبوى الشريف للدكتورة / فتحية فرج العقدة – ط مطبعة الأمانة – ط أولى – (١٤١٤) هـــ (١٩٩٣) م.

٣٤- النحو الوافي المؤلف: عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـــ) الناشر: دار المعارف الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة .

.ثانيا: المجلات:

١-مجلة اللغة العربية بالمنصورة العدد ٤٠ ج١ ، ٢٠٢١مـــ .
٢-حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية الثانية والعشرون ، الكويت ١٤٢٢-١٤٢٣هـــ ، ٢٠٠١-٢٠٠٢مـــ.